

Nathan der Weise

Übersetzung ins Arabische
– aus dem Jahre 1932 –

Ursprungswerk

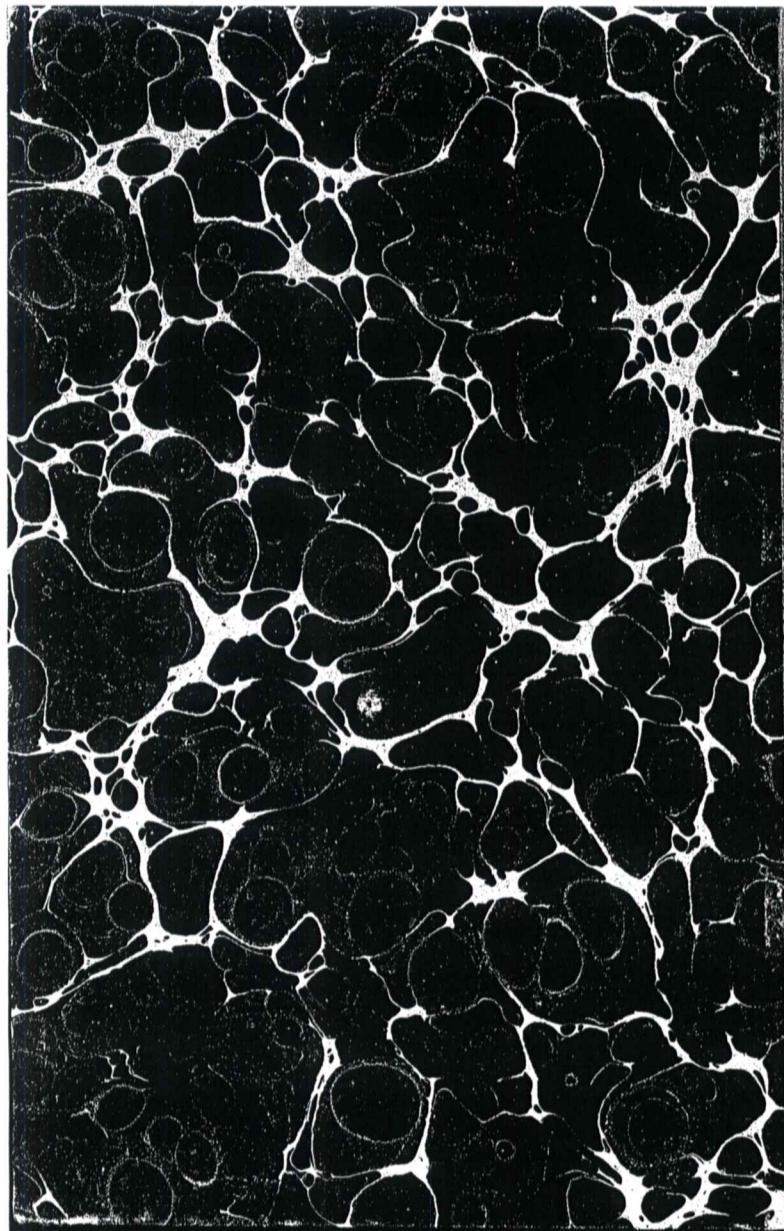
Verfasser	Gotthold Ephraim Lessing
Titel	Nathan der Weise
Untertitel Original Untertitel modifiziert Erscheinungsjahr	ein dramatisches Gedicht in fünf Aufzügen ein Spielroman in fünf Akten 1779

Übersetzung

Übersetzer	Iljās Nasr-Allāh Haddād
Titel	Nātān alhakīm
Untertitel Verlag oder Druckerei Erscheinungsort und -jahr Umfang	riwāja tamtilīja dat hamsat fusūl Dār ak-aitām as-sūrīja / Syrisches Waisenhaus Al-Quds / Jerusalem 1932 184 Seiten

Bibliotheksbestand

Universitätsbibliothek Bonn	Signatur Fa 698 / 10
Staatsbibliothek Berlin	Signatur Yr 1668 / 280 im Magazin Altbestand Westhafen (Nachweiskatalog AK-Or II im Orientlesesaal)



ناشان الحكيم

ماشتية

رواية تمثيلية

ذات خمسة فصول

تأليف

لسنخ الساعر الراواني

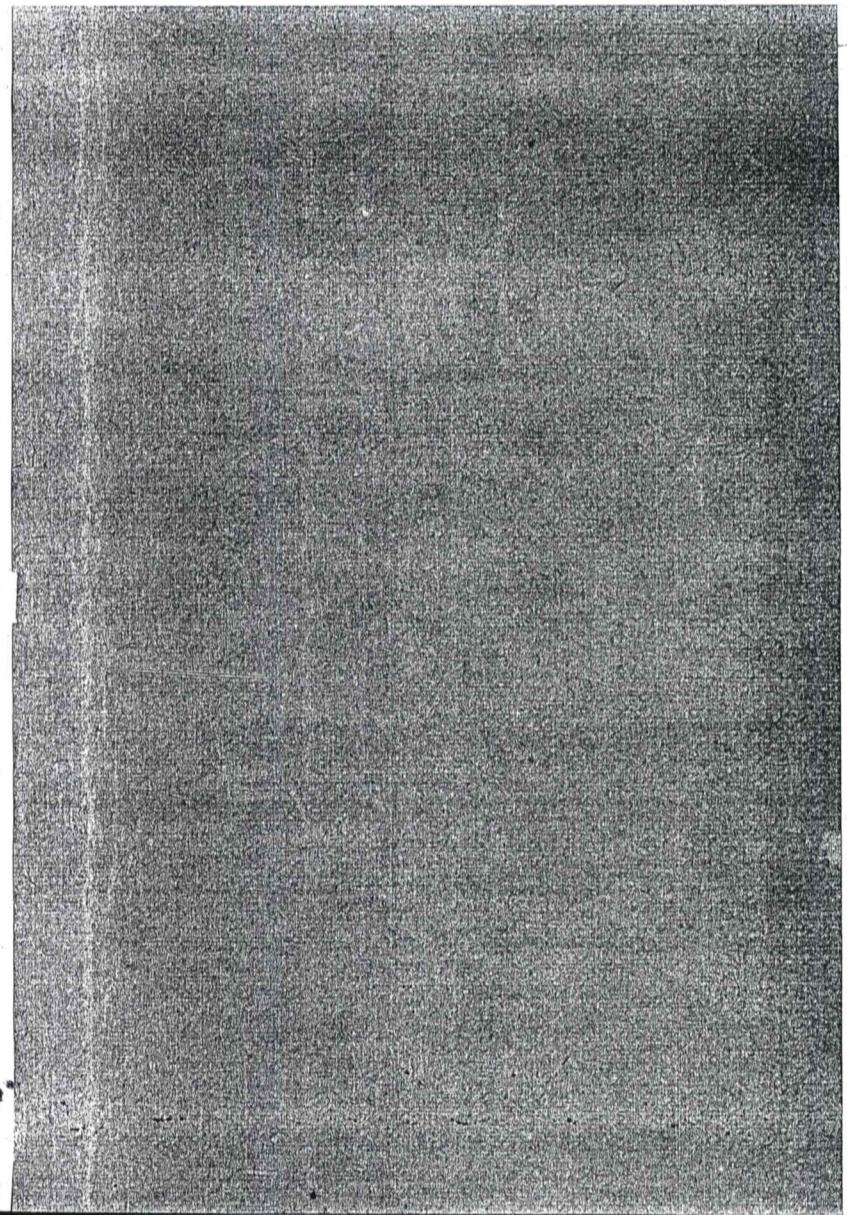
ترجمها إلى العربية

إلياس نصر الله مدار



القدس - ١٩٣٢

مطبعة دار الأيتام السورية - القدس



مقدمة المترجم

ان رواية ناثان الحكم هي ثمرة الخصام الديني الذي احتمم بين اتباع المذهب الذي يجد المعتقد الذي يقبله العقل وبين اتباع متعصبي المذهب المسيحي كما نرى ذلك في الفصل التابع اي نشأة الرواية، وابي شيء اذم واحظ من اقسام اهل بلاد واحدة تحت سماء واحدة الى احزاب يعمل فيها الواحد على اذلال الاخر واسوأ هذا الانقسام الانقسام الناجم عن التعصب الديني الذي متى منيت به بلاد ما يكون سبب الخذلان والجحود بل التقهقر والانحطاط.

بعد الحرب العالمية حدث تحول عظيم في الجمهورية التركية ومن اهم هذا التحول فصل الدين عن السياسة وعن السلطة الزمنية وقد اقى بالترك اهل الثقافة في البلدان العربية ولذلك نرى روح التسامح تأسست بين ابناء البلدان العربية. والآن يوجد حركة مباركة ترمي رمياً جدياً الى بث روح التساهل في كل هذه الاقطارات. وهذه الحركة ولينة التطور والتحول العالمي. وما لا شك فيه انه لا تقدم اجتماعي ولا سياسي لاي بلدان العالم ما لم يسبقه التساهل الديني الحقيقي ولا نعني بالتساهل الاستهتار لان الفرق بين التساهل والاستهتار واضح لكل ذي بصيرة. ولسنا من يدعون الناس الى اتباع دين دون

٤٠-١٩٣٢، ١٦٦٨

آخر بل بالعكس استناداً على اقوال اهل الدين المختلفين ندعو الى التسامح الديني المبني على احترام جميع الاديان ومتى اعتنقنا نحن المذاهب الدينية واعتقدها معنا او لا دنا عن تعلق وروية لا عن شعور وعواطف وتقليل، ومتى اصبح حب التقوى والتدبر تحت سلطان العقل وليس الهوى والميول النفسية كان ديناً وفضيلة سامية يعمل على تقدم ورقي وثقافة البشر عموماً. وعندما يصل البشر الى درجة الرقي الحقة يبنون التعصب الديني الذي كثيراً ما يكون حاجزاً يفرق بين ابناء الجبلة البشرية ويجعلهم جماعات تنظر الواحدة منهم الى الاخرى نظرة العداوة المرة. لكم دينكمولي دين. ولو شاء ربكم لجعل الناس امة واحدة (القرآن الشريف). كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم ا فعلوا هكذا اتم ايضاً بهم (الابنجل الشريف)

ایلیاس نصر الله مدار

نشاة الرواية

هي ثمرة الخصم الديني الذي احتمد بين لسنغ من اتباع المذهب الذي يجد المعتقد الديني الذي يقبله العقل وبين اتباع متعصبي المذهب المسيحي. وكان احد اتباع هذا المذهب الديني الاستاذ ريماروس (Reimarus) في همبرج ومن معتقداته ان الخلاص معد لجميع الناس

وان حكمة الله وعدله لا يظهران بالعجز بل بنواميس ابدية نظمت الكون وكان القسيس غاتسي (Goetze) في همبرج من اكبر اخضام هذا المبدأ وبالنظر الى اعتقاده الديني كان مصرياً بدفعه عن معتقده المؤسس على الكتاب المقدس. الا ان غيرته الناجحة عن تعصبه الديني قادته الى انتقاد شخصية الشاعر لسنغ فاتهمه بهم شخصية عدّ بموجها كتابات ريماروس التي جذبها لسنغ معادية للدين وعدّ لسنغ مذنبًا لاتهامه بنشر هذا المعتقد وهذا ما حمل لسنغ على كتابة سلسلة مقالات للدفاع عن مبدئه ردّاً على تهم القسيس غاتسي ومن جملة كتاباته التي ترمي الى هذه الغاية المقالات التي عنوانها « تربية الجنس البشري » وفواها ان الله ظهر للحقيقة لكي يذهبها وهذا تعدّ كتب الوحي اساس هذه التربية. واستلم البشر هذه الكتب في ادوار مختلفة والدور الذي سيأتي هو دور النضوج والفضيلة التي تمارس حباً بالفضيلة نفسها وليس طمعاً في الثواب ولا خوفاً من العقاب.

وإذا اعدت الاديان الدرجات الضرورية للرقى البشري فقد تكون كل واحدة منها مصيبة في شكلها .. ولما انتشرت اراء لسنغ قاومها غاتسي بتهييج اهل الحل والعقد من قادة الرأي العام ضدها وهكذا منعه وزارة بلاده من متابعة ابحاثه فوضعت كل كتاباته تحت عين الرقيب ومنع نشرها سنة ١٧٧٨ ولكي يتمكن من التعبير عن ارائه عدل عن الصحافة الى المرسح فالف روایته الشهيرة « ناثان الحكم » لكي يتمكن من التعبير عن افكاره للجمهور على المرسح. في سنة ١٥٥٢

٧

الا ان الاقوال التاريخية في الرواية لا تستند كلها الى مستند صحيح.
فالمجوم على تبني مثلاً الذي به فسخ الفرسان المدنة حدث بعد عودة
الملك فيليب اوغسطط في سنة ١١٩١ بعده طولية ولذلك لا يمكن ان
يكون كتاب البطريرك موجهاً اليه. ثم ان جميع اسماء الاشخاص سوى
صلاح الدين ذكرها فقط لاجل التمثيل ولا مستند تاريخي لهم

٤

موقع الرواية

يصف لسنغ موقع الرواية اورشليم نفسها حيث تجتمع اديان
الوحى الثلاثة وهنا نجد وصفاً لبيت ناثان ومحلاً امامه وقصر صلاح
الدين ونرى بيت ناثان بالقرب من حائط خليل وبقربه قبر الخلاصين
وانقاض كنيسة دير. ويرد ايضاً ذكر «عسقلان» حيث قتل ودفن
كنزاد فن شتون و«دارون» وهي مقاطعة بالقرب من غزة هاشم.

٥

الحكاية الموضوعة التي تتقدم الرواية

كان لصلاح الدين اخ يدعى اسعد تزوج شريفة المانية تدعى فن شتون
وهاجر معها الى المانيا وهنالك دعي وُلُف فن فلنك ورزق صبياً منها
دعى «لي» ونظرأ لتساوية الطقس رجعاً الى الشرق وتركا الصبي

الف فيلسوف كرداوس (Cardanus) الايطالي كتاباً وصف فيه
الاربعة اديان المسكونة الموسوية والاسلامية والمسحية والوثنية وشهرها
باربعة اشخاص سعى كل منهم في الدفاع عن مذهبها وقاوم معتقد الباقيين.
وهذا البحث يذكرنا بقصة الثلاثة الخواتم الوارد ذكرها في رواية
«ناثان الحكيم» وقد اقتبسها لسنغ من مجموعة قصص الشاعر بوكاسيو
(Boccacio) مع تعديلات اضافها لسنغ الى الاصل.

٣

مستند الرواية التاريخي

هذه الرواية لها مستند تاريخي يرجع الى ثالث الحملات الصليبية
سنة ١١٨٩ الى سنة ١١٩٢ حيث يخبرنا التاريخ عن انتصارات صلاح
الدين الباهرة وهو السلطان الحازم والسياسي المحنك الذي مد ملكه
حتى مصر وسوريا وفي انتصاره الباهر في موقعة حطين سنة ١١٨٧
على الصليبيين استولى ايضاً على بيت المقدس. وسنة ١١٩٠ بعد غرق
فريدريك ببروسيا توافت هذه الحملة التي كانت تحت قيادة ريكارد
قلب الاسد الانكليزي وفيليب اوغسطط الفرنسي وفريدرick ببروسيا
نفسه. وفي سنة ١١٩١ سلمت عكا وسنة ١١٩٢ عقد ريكارد قلب
الاسد هدنة مع صلاح الدين وفي ذلك الحين راحت اشاعة عن احتمال
زواج اخت ريكارد قلب الاسد. حته باخي صلاح الدين المدعو مالك

عند حاله كورد فن شتوفن ورزقها الله في فلسطين ابنة سيماءها بلنده وارسلها ابوها عقب موت والدتها الى صديقه ناثان اليهودي لكي يعتني بها مع جندي فارس كان في خدمته . وبعد موت والده في عسقلان دعاها ريحانة وتبناها وكانت مربيتها المسيحية تعرف ان بلنده مسيحية المولد . وهكذا اقام ^{علي} (Leu) في المانيا وبلنده (ريحانة) في اورشليم عند مرب يهودي . ولما ترعرع «لي» دخل في سلك الفرسان الهيكليين واتى مع تجدة صلبيية الى فلسطين وعند الهجوم على قلعة تبنين أخذ اسيراً وحكم عليه صلاح الدين مع ١٩ فارساً هيكلياً بالموت لكنه عفا عنه فقط لانه رأى في ملاعع وجهه شبهآ باخيه اسعد فأثر فيه هذا المنظر تأثيراً كلياً ثم اقام في اورشليم اسيراً عند صلاح الدين ومن حين الى اخر كان يرافق السياخ الى برية سينا ومرة بيت ناثان فوجده يحترق نفاطر حياته وخصل ريحانة من الموت حرقاً . ورفض قبول مكافأة له على عمله هذا حتى الشكر المجرد . اما ريحانة فنسبت خلاصها الى ملاك واما مريها ناثان التاجر اليهودي المثري فقد قتل له سكان جات (Gath) المسيحيون ابناءه السبعة وقتلوا امرأته معهم ايضاً . ولكنه تغلب على عواطفه فلم يبق في قلبه محلاً للغضب والانتقام بل سلم امره في مختنه هذه لله . وهكذا ظهرت تقواه بنكران الذات ومحبته للجنس البشري . فحملته هذه الافكار السماوية على تبني ريحانة ابنة صديقه «ولق فن فلنك» اللطيم عوضاً عن اولاده ليربها تربية شريفة حكيمة رشيدة . وساعدته في تربيتها امرأة المانيا مسيحية اسمها

«داية» كانت قد اشتراك مع زوجها في الحملة الصليبية لكنه غرق مع بربوسا اثناء السباحة في نهر شمالي سوريا ومنذ ذلك الحين اقامت في بيت ناثان كمربية لريحانة التي احضرها له الجندي الفارس .

اشخاص الرواية

(١) ناثان الحكم : تاجر يهودي كان له سبعة ابناء كلهم آمال قتلهم المسيحيون في يوم واحد وقتلوا امهم معهم . هذه الكارثة جعلته يسلم امره للعناية الالهية وان يتسامح عوضاً عن طلب الثأر والرقة وقد لُقب بالحكم لأن رائده في كل اقواله واعماله الحكمة والتزوي ولم تقتصر مزاياه على حكمته العقلية بل تعدتها الى طيب قلبه الذي جعله يعالج كل اموره بطول الاناة والحبة .

(٢) ريحانة : هي بلندا ابنة اخي صلاح الدين التي تبنت واصبحت لطيمآ في حداثتها قتبناها ناثان عوضاً عن ابنته السبعة بعد ان قتلهم المسيحيون وامهم معهم في ليلة واحدة والشاعر يسميه «ريحة» لكنني جعلت اسمها «ريحانة» .

(٣) صلاح الدين : هو صلاح الدين الايوبي الشهير وهو من اكبر واعظم سلاطين الاسلام . اشتهر بالكرم ودماثة الاخلاق والتساهل ومع عظم كرمه الذي يُضرب به المثل كان بسيطاً جداً في

معيشته ومن اقوال الصليبيين المأثورة عنه : « يكفيني ثوب واحد وسيف واحد وحصان واحد والله واحد » .

(٤) سترة : هي اخت صلاح الدين اهتمت كثيراً في تدبير المال لأخيها عند اشتداد الازمة المالية .

(٥) الحافظ : احياناً يدعوه الشاعر الحافي والخري الحافظ وقد اقتصرت على تسميتها الحافظ صار خازناً لبيت مال صلاح الدين بعد ان كان درويشاً لكنه كان دوماً يتوق الى عيشة الدراويس ويتمني ترك عمله ليسافر الى الهند ليعيش هناك كدرويش بعد ان يخلع ثوب الاستخدام السلطاني

(٦) الفارس الهيكل : هو اخو بلنده وابن اسعد اخي صلاح الدين ولد في المانيا وسيُـلـفـ فـنـ فـلـنـكـ . ان والده اسعد تزوج شريفة المانية تدعى الشريفة فـنـ شـتـوـفـنـ وـسـافـرـ معـهـاـ الىـ المـاـيـاـ حيثـ سـيـ نـفـسـهـ وـلـفـ فـنـ فـلـنـكـ لـكـنـهـ رـجـعـ معـ اـمـرـأـتـهـ الىـ فـلـاسـطـيـنـ لـدـمـ مـلـامـمـةـ المـاـنـاـخـ لـهـ وـتـرـكـ اـبـنـهـ اـعـنـدـ خـالـهـ . وـبـعـدـ مـوـتـ اـسـعـدـ وـامـرـأـتـهـ تـبـنـيـ لـيـ اـبـنـهـ خـالـهـ كـوـرـدـ فـنـ شـتـوـفـنـ وـسـيـ باـسـمـ خـالـهـ . وـبـنـاءـ عـلـىـ طـلـبـ خـالـهـ صـارـ فـارـسـاـ وـذـهـبـ معـ حـمـلـةـ صـلـيـبـيـةـ الـىـ فـلـاسـطـيـنـ .

(٧) راهب الدير : كان خادماً فازساً آتى مع احد الصليبيين الى فلسطين وكان اخيراً خادماً عند ولف فـلـنـكـ (اسعد) وقبل موته ارسل ابنته بلنده مع الراهب الى ناثان لكي تكون بامان وبعد ذلك خلع ثياب الجندي وعاش كناسك بالقرب من اريحا وهنا هاجمه

البدو فقف راجعاً الى اورشليم ودخل في خدمة بطير كها الذي اراد استخدامه في امور تأباهها نفسه الاية . وكان بسيطاً ورعاً يكره الرياح والجفاف وكان يعلم حق العلم ارنـ دـيـنـ يـطـلـبـ منهـ محـبةـ القرـيبـ وكانـ شـعـارـهـ الـدـيـنـيـ التـضـحـيـةـ وـالـشـفـقـةـ وـالـرـحـمـةـ . وـبـلـغـتـ سـذـاجـتـهـ اـقـصـاـهـاـ ولـكـنـهـ كـانـ بـرـهـاـنـاـ عـلـىـ حـسـنـ طـوـيـتـهـ وـاسـتـقـامـتـهـ .

(٨) داية : هي امرأة مسيحية صلية غرق زوجها مع فريدريك ببروسيا وبعد ذلك دخلت في خدمة ناثان اليهودي حيثُ عهد اليها في تربية بلنده (ريحانة) وكانت مثال الامانة والاستقامة وكانت تسعى لكي تخلاص ريحانة من يد مربتها اليهودي خوفاً عليها من ان تصبح يهودية . وكانت كالبطير ك ترى الدين في امور خارجية ولذلك اصبحت متعصبة ولكن تعصبها نجم عن بساطة قلب

(٩) البطير ك : كان ادراكه الديني غير ناضج ولذلك كانت الظواهر عنده اهم ما في الدين . وبواسطة جواسيسه كان ملماً بالحالة الحربية تماماً وكان يسعى لقتل صلاح الدين على يد الفارس الهيكل . واستشاط غيظاً وظهر فيه التعصب الذميم عندما سمع عن اعمال ناثان ولم يكن بامكانه ادراك اعمال الحبة التي يعملاها ناثان وفهمها . وكان يرى الدين فقط واسطة للغاية . وكانت غايتها حب الظهور والاعتبار والسلطة وتوسيعها . والمقصود بالبطير ك وصفاته القسيس غوتسي .

مبحث الرواية

يمثل الرواية نواب عن ثلاثة الاديان المنزلة الموسوية واليسوعية والاسلامية . وفي اسعد اخي صلاح الدين تمثل ثلاثة الاديان . هو مسلم المولد واقترب بمسيحية وكان صديقاً لناثان اليهودي الذي اصبح فيما بعد مربى ابنته ريحانة ..

ان جمع لي فن فلنك مع اخته ريحانة ومع ناثان وصلاح الدين كعائلة واحدة يرثون الى جمع اتباع المذاهب الثلاثة والتغلب على الاختلافات الدينية واتقاد اهل كل مذهب للآخرين وهذا هو بيت القصيد في هذه الرواية .

لسنن

ولد غتهولد افرايم لسنن (Gotthold Ephraim Lessing) في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٧٢٩ في مدينة كامتس و كان والده اهم قسيس في تلك المدينة و ظهرت عليه امارات النجاة وهو يدرس في مدرسة الامراء في مدينة كامتس حيث كان مولعاً ولعاً زائداً بدرس اللغات والرياضيات وهنا قال عنه مدير المدرسة انه كحسان سباق لا يجاريه احد في الدرس وفي سنة ١٧٤٦ دخل جامعة ليبسغ ليدرس علم اللاهوت ولكنه بعد مدة عكف على درس الطب عوضاً عن

اللاهوت . ثم ترك الطب ودرس اللغات والفلسفه والادب وكانت معلوماته الفلسفية غزيرة وكان بحاثة بكل معنى الكلمة ويُروى عنه انه خص بموهبة النقد الدقيق الى درجة متاهية وحرر الادب الالماني من كل ما هو غريب عن امته و هدم كل تقليد تمسكت به امته ولم يتطرق مع روح عصره ومع هذا كله لم يعتد بنفسه لانه كان بعيداً عن الغرور . وبعد ان انتهى دروسه عين مديرآ لـ *لنك* (Wolfenbüttler) ودللت كل كتاباته العديدة على التعلق والرزانة ودقة منطقها وادابها مع خفة ورشاقة روح كتابتها . ومن هذه المؤلفات روايته المثليلة المدعوه : «ناثان الحكم» : وهي تعبر عن ارائه الدينية ومحورها الثلاثة الخواتم وهي ترمي الى الثلاثة الاديان الموحدة التي ترتكز على التسامه والانسانية والمحبة والاداب المحبة وفيها يقول بما ان اصل الوهية الاديان لا يمكن ان يحدد بالبرهان لذلك لا يحدد واجب الانسان الاعلى بالاعيان بل بالفضيلة . وعد لسنن الثلاثة الاديان الموحدة بدرجة واحدة ووصف شخصية صلاح الدين بانها شريفة وكريمه ونبله وأنها اسمى ما يمكن ان تصل اليه شخصية بشرية من اتباع المثل الاعلى . ويعد لسنن مع شلر وغوفه اشعر شعراء الالمان واقدرهم . ولقد كان لسنن من يعتقدون ان كل مذهب من المذاهب الموحدة ضروري ومهم لتنقيف البشرية ويقول بوجوب التسامه لأن افضل محك للدين الحقيق هو ممارسة الفضيلة وليس الخصم العقيم لاجل العقائد الدينية .

ملخص الرواية

الفصل الأول

المنظر الأول والثاني: بعد رجوع ناثان من بغداد استقبلته داية في قناء الدار وأخبرته أن بيته قد احترق وريحانة كانت في خطر. هو ظن ان ريحانة قد احترقت فتأثر جداً وداية حاولت ان تفهمه بأنه لا يحق له كيهودي ان يعذّر ريحانة المسيحية ابنته لانه ربها. وناثان يحاول ان يحملها على الاقلاع عن هذا الفكر باغراضها بالمدايا التي حضرها معه لها. ثم اخبرته داية ان فارساً خلص ريحانة من الحريق وقد أخذ اسيراً مع ١٩ فارساً آخر ولكنهن اعدموا جميعاً الا هو فقد نال عفو صلاح الدين. وبعد ترحيب ريحانة بناثان اخبرته ان ملاكاً حقيقة خلصها من الحريق وحالاً جرب هو ان يفهمها ان العجائب ليست الا اموراً طبيعية وبشرية وليس من داعٍ يحملها على الاعتقاد بان منقذها كان ملاكاً وفي اثناء الحديث شاهدوا البرويش الحافظ.

المنظر الثالث: يتكلم عن تعيين الحافظ خازناً لبيت مال صلاح الدين. ويأنه كان سبب تعارف ناثان وصلاح الدين.

المنظر الرابع: داية تخبرنا انها رأت الفارس الهيكلي من جديد وكانت ريحانة قد شاهدته بين اشجار التخيل وطلبت الى ناثان ان يزوره

المنظر الخامس: الراهب يذهب الى محل اقامته الفارس ليسلمه امراً من البطريرك وكان هذا محل مغروسًا بشجر التخيل. ثم كلف الفارس ان يسلم كتاباً الى فيليب ملك فرنسا لانه يتضمن تعلمات مهمة لجيش الصليبيين ضد صلاح الدين الا ان الفارس رفض بتاته ان يكون جاسوساً ضد صلاح الدين لان هذا يحط من شرفه ومقامه. ولما طلب اليه البطريرك ان يغدر بصلاح الدين رفض ايضاً تلية امر البطريرك وذكر للبطريرك انه مدين بحياته لصلاح الدين.

المنظر السادس: داية ترفض في هذا الفصل دعوة الفارس الى بيت ناثان.

الفصل الثاني

المنظر الاول الى الثالث: ستة وصلاح الدين اخوها يلعبون الشطرنج في قصر السلطان وعمداً يجعل اخنه تعليبه ثم نراه مشغول البال لتفكيره في الحرب التي ستدور رحاتها عن قريب وفي العسر المالي وهنا يخبرنا الحافظ ان ستة كانت دوماً تضع ربحها من لعب الشطرنج وكافة دخلها الشخصي في خزينة الدولة بدون علم اخيها لتساعده نظراً للعسر المالي الذي كانت فيه خزينته. ثم لفتت نظر اخيها الى ناثان ليحصل منه على المال اللازم لكن الحافظ رفض ذلك.

المنظر الرابع الى التاسع: ريحانة وناثان ينتظران بفارغ صبر

قدوم الفارس . الفارس وناثان يصبحان صديقين . الفارس يعترف الان بجهه لريحانة . داية تخبرنا الان ان ناثان دعي للشول امام صلاح الدين . وفي الفصل التاسع نرى الدرويش يعترف بعجزه عن القيام بهمته كخازن لذلك يخلع ثوب الشرف الذي خلبه عليه صلاح الدين ويطلب الزهد على نهر الكنج ومثله الاعلى ليس التغلب على العالم بل الهرب من العالم .

الفصل الثالث

المنظر الاول الى الثالث : ريحانة وداية يتظاران الفارس . داية تجاهر بجهها لاقتران الفارس بريحانة . الفارس يحضر وريحانة تأخذ بمجامع قلبها . وفي الفصل الثالث نجد وصف تأثير هذا الاجتماع على ريحانة .

المنظر الرابع الى السابع : ستة تخبر السلطان عن غنى ناثان لكي يعقد معه قرضا . لكن السلطان رفض ذلك الا انه طرح عليه السؤال التالي : « اي مذهب هو افضل المذاهب » . وعند سماع ناثان هذا السؤال قرر حالا ان لا يخفى امام السلطان انه يهودي وان ينصف المذاهب الاخرى وهكذا حكى قصة الثلاثة الحوائم وهنا يروم الشاعر ان يخبرنا انه طالما لا نقدر ان نميز الخاتم الاصلي من الخاتمين المقلدين لا يمكننا معرفة الانسان التي تقوى حقة ولا الخائف

الله خوفاً حقيقياً . لأن الخاتم الحقيقي (خاتم ليك) له قوة باطنية تجعل حامله مقبولاً امام الله والناس . **خاتم ليك** هو الدين الحقيقي الذي يجعل الانسان مقبولاً امام الله والناس . وطالما آثر موجود بين الناس المتندين الى جميع المذاهب فلا يمكننا تمييز مذهب عن الآخر . وهذا حكم القاضي بين الاخوة المتخاصمين حكماً سليماً لعدم ظهور فاعلية خاتم ليك في واحد منهم وسيكون حكمه ايجابياً في المستقبل وربما بعد الوف من السنتين عندما يبرهن صاحب **الخاتم الحقيقي** (الدين الحقيقي) على ذلك بالعمل وليس بالكلام وعندئذ لا يصعب على القاضي الحكيم العادل ان يلقي حكمه النهائي لأن الاعمال الطيبة والمرضية امام الله والناس هي افضل واعدل شاهد على صحة الدين . وكل من يتمنى الى مذهب يختلطه اذا ظن ان البرهان على صحة مذهبه وتفضيله على المذهب الاخر هو خالفة غيره بالرأي وامكانه انتقاد المذاهب والمعتقدات الاخرى باستناده الى التاريخ والمنطق والعلم . لأن صحة الميراث الديني ثبتت بالفضيلة واطاعة الله والمحبة وعمل الخير والتسليم لله والتساهل بين اتباع اديان الوحي الثلاثة . ولاجل حسم الخصام بين اتباع المذاهب المختلفة (الاخوة الثلاثة) يبحث الشاعر اتباع هذه المذاهب كي يتسابقوا في حلبة الفضيلة والوداعة واحتمال نقائص غيرهم وعمل الخير والتسليم لله . وأثار الفضيلة هذه تنضح تدريجياً وهي نتيجة تهذيب الجنس البشري المتواصل . وبعد الوصول

الى هذه الدرجة من الثقة والرقي تظهر صحة الاعان . وعند سماع صلاح الدين هذه القصة وتفسيرها اثرت فيه تأثيراً حمله على طلب صداقة ناثان ونظرآً لتقرب نظرياتها اتحدا اتحاداً دائمآً . بعد ذلك عرض ناثان امواله على السلطان بابل وكرم اخلاق وبعد ذلك سعى لادخال الفارس الهيكل في عبد صداقتها وهكذا توصل الشاعر الى بيان حقيقة المثل الاعلى .

المنظر الثامن الى العاشر : هنا نرى شغف الفارس بريحانة وهكذا يقلع عن افكاره السابقة ويحطم القيود التقليدية متبوعاً خطوة والدته وفي هذا الفصل يكشف الفارس ناثان عن رغبته بالاقتران بريحانة ولكن ناثان يأبى ذلك بتحفظ لعلمه بانها اخته . بعد ذلك تلوح داية علينا بان ريحانة مسيحية وناثان يهودي وليس والدها . وهنا نرى الفارس يلوم ناثان ويعده مذنبآً .

الفصل الرابع

المنظر الاول والثاني : الفارس يطلب مساعدة الراهب . البطريق والفارس يختلفان في حكمها على ناثان . البطريق يستشيط غيضاً ويحرم اليهودي ويبيح لنفسه تحت ستار الدين الغضاء المتأهية وحب السلطة والادعاء والاضطهاد والتعصب النديم . ولهذا يعد اعمال النبل التي قدمها يهودي الى ابنة مسيحية لطيم جنائية لا تتحقق يستحق لا جلها الموت حرقاً .

المنظر الثالث الى الخامس : صلاح الدين يتقد المرض الذي قدمه ناثان . وهنا يظهر كرمه الحاتي وتساهله . ثم يشك الفارس بنوايا ناثان وينسب اليه الرياء وصلاح الدين يتوسط بينهما .

المنظر السادس والسابع : ناثان يقدم داية هدايا وهي تغتنم الفرصة لتحمل ناثان على قبول اقتران الفارس بريحانة وهو يرفض ذلك . الراهب يخبر ناثان ان البطريق كلفه كي يتبع اثره . واخبره ايضاً بانه هو الفارس الذي جلب له مرة ما الابنة اليتيمة في دارون وان امها من عائلة شتوفن . ناثان يحكى للراهب حادثة مقتل اولاده السبعة وامر أنه معهم وتبنيه ريحانة .

المنظر الثامن : داية تخبر ريحانة عن دعوه ستة لها وترى نفسها مضطرة كي تخبر ريحانة عن قرابتها للفارس الهيكل .

الفصل الخامس

المنظر الاول والثاني : وصول المكوس من مصر .

المنظر الثالث الى الخامس : الفارس يعترف بزنته . الفارس حصل على سواعية اسعد و منها توصل الى معرفة نسب ريحانة . ثم نقرأ شكر ناثان لله الذي جعل كل شيء يؤول للخير ويل ذلك تعاتب الفارس وناثان . بعد ذلك يجتمعون عند ستة ويطلعون على السواعية ومنها يظهر جلياً ان ريحانة هي اخت الفارس .

المنظر السادس الى الثامن: ريحانة تشكو همها لستة وصلاح الدين يطيب خاطرها. ثم يجتمع ناثان والفارس وستة وريحانة عند السلطان بعد ذلك يطلب السلطان اقتزان ريحانة بالفارس. ثم يذكر ناثان اسم الفارس الحقيقي فلنك وليس فن شوفن حسب نسب والدته. ثم يقول انه اخو ريحانة اي بلنده. بعد ذلك ظهر ان الفارس ريحانة هما ولدا اسعد اخي صلاح الدين.

الفصل الاول

المنظر الاول

(المشهد : فناء بيت ناثان)

(عند رجوع ناثان من السفر خرجت داية لملاقاته)

داية: هو ناثان. الحمد لله ابداً، لأنك رجعتلينا اخيراً.

ناثان: نعم يا داية الحمد لله ولكن لماذا اردت قوله بكلمة اخيراً؟

هل اردت الرجوع قبل الآن وهل تكنت من ذلك؟ ان

بابل تبعد عن بيت المقدس عدة مئات من الاميال (١) خصوصاً

لمن يرغم مثلي على التعریج يمنة ويسرة ليجمع ديونه ومن

المؤكد أن جمع الديون ليس من الاعمال التي تم على عجل.

داية: كان من الممكن يا ناثان ان تصبح هنا من اقسى النساء. لأن

بيتك....

ناثان: (يقطعاها) كاد يحترق كما قد قيل لي وعسى ان اكون قد سمعت

كل ما قد حدث.

داية: كان احتراقه حتى الاساسات امراً سهلاً.

ناثان: عندئذ يا داية يتاح لنا ان نبني بيتاً جديداً على طراز اكثـر

راحة وهناء.

(١) في الاصل الالماني مكتوب ٢٠٠ ميل

داية: صحيح ولكن لم يبق الا قيد شعرة حتى تلتهم النيران ريحانة.
 ناثان: احترقت؟ من؟ ريحانة؟ هي نفسها؟ اني ما سمعت بهذا قبلـاـ.
 وعندئذ؟ لا اكون بحاجة الى بيت. ولكن لم يبق الا قيد
 شعرة حتى كانت النيران التهمتها. واحسراها التهمتها هي. لقد
 التهمـاـ حقيقة. لا تخفي الامر عنـيـ. إقضـيـ علىـيـ ولا تطـليـ
 عذـابـيـ اكـثـرـ. نعم لقد التهمـاـ النـيـرانـ.

داية: لو كان هذا واقعة الحال هل كنت تسمعـهـ منـيـ؟
 ناثان: لماذا تذرـعـينـيـ؟ واحسـرـاتـاهـ عليكـ ياـ عـزـيزـيـ رـيـحانـةـ!

داية: عـزـيزـتكـ؟ عـزـيزـتكـ رـيـحانـةـ؟

نـاثـانـ: عـسىـ انـ لاـ أـحـرـمـ اـبـداـ مـنـ تـسـمـيـةـ هـذـهـ الـاـبـنـةـ اـبـنـيـ!
 دـاـيـةـ: هـلـ تـعـتـبـرـ كـلـ شـيـءـ لـهـ عـلـاـقـةـ بـكـ مـلـكـ الـخـاصـ وـهـلـ يـساـوـيـ
 هـذـاـ الـاعـتـبـارـ الـحـقـيقـةـ..

نـاثـانـ: الـحـقـ يـقـالـ لـاـ شـيـءـ اـفـضـلـ. لـاـنـ كـلـ مـاـ اـمـلـكـ قدـ خـصـتـيـ بـهـ
 الـطـبـيـعـهـ وـخـصـنـيـ بـهـ السـعـدـ اـمـاـ هـيـ (ـرـيـحانـةـ) فـقـدـ وـهـبـتـيـ اـيـاـهـاـ
 الـفـضـيـلـةـ.

داية: يا نـاثـانـ اـنـتـ تـحـمـلـنـيـ عـلـىـ اـنـ اـدـفـعـ مـنـاـ باـهـظـاـ لـجـودـكـ هـذـاـ اـذـاـ
 كـانـ الجـوـدـ الـذـيـ يـمـارـسـ لـاـجـلـ هـذـهـ الغـاـيـةـ يـعـدـ جـوـداـ.

نـاثـانـ: (ـيـقـاطـعـهـ) لـاـجـلـ هـذـهـ الغـاـيـةـ؟ وـاـيـ غـاـيـةـ هـيـ هـذـهـ؟

داية: وجـدـانـيـ ..

نـاثـانـ: يـاـ دـاـيـةـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ دـعـيـنـيـ أـخـبـرـكـ ..

داية: اـنـاـ اـقـولـ وـجـدـانـ.

نـاثـانـ: (ـيـعـودـ فـيـكـ عـبـارـتـهـ) مـاـ اـجـلـ هـذـهـ الـمـسـوـجـاتـ الـتـيـ اـبـعـثـتـاـ لـكـ
 مـنـ بـاـبـلـ. اـنـاـ فـاـخـرـةـ بـهـيـةـ الـمـنـظـرـ وـهـيـاتـ اـنـ اـهـدـيـ اـلـىـ رـيـحانـةـ.
 اـجـلـ مـنـهـاـ.

داية: وـمـاـ يـنـفـعـنـيـ كـلـ هـذـاـ؟ اـنـاـ مـضـطـرـةـ اـنـ اـقـولـ لـكـ اـنـ وـجـدـانـ
 لـاـ يـقـبـلـ التـحـذـيرـ اـكـثـرـ بـعـدـ الـاـنـ.

نـاثـانـ: اـنـيـ اـسـرـتـ مـتـ رـأـيـتـكـ مـسـرـوـرـةـ بـالـاسـورـةـ وـالـاقـرـاطـ وـالـخـاتـمـ
 وـالـعـقـدـ الـتـيـ اـنـتـقـيـتـاـ لـكـ فـيـ دـمـشـقـ.

داية: لـقـدـ طـبـعـتـ عـلـىـ اـنـ لـاـ تـسـرـ اـلـاـ بـالـعـطـاءـ فـقـطـ.

نـاثـانـ: اـقـبـلـ اـنـتـ بـفـرـحـ كـاـ اـعـطـيـكـ بـفـرـحـ اـيـضاـ وـاسـكـتـيـ.

داية: اـسـكـتـ. مـنـ ذـاـ الـذـيـ يـشـكـ يـاـ نـاثـانـ اـنـكـ لـسـتـ الـامـانـةـ نـفـسـهـاـ
 وـاـنـ كـبـرـ الـنـفـسـ لـيـسـ مـتـجـسـمـاـ فـيـكـ وـلـكـ ..

نـاثـانـ: وـلـكـنـيـ لـسـتـ اـلـاـ يـهـوـدـيـاـ. الـيـسـ كـذـلـكـ؟ هـذـاـ مـاـ اـرـدـتـ اـنـ
 تـقـولـيـهـ.

داية: مـاـ اـرـيـدـ التـفـوـهـ بـهـ تـعـرـفـ اـنـتـ اـحـسـنـ.

نـاثـانـ: اـسـكـتـ اـذـاـ.

داية: اـنـاـ اـسـكـتـ. الاـ انـ مـاـ يـنـجـمـ عـنـ سـكـوـتـيـ هـذـهـ الـذـيـ يـسـبـبـ قـصـاصـ
 الـلـهـ الـذـيـ لـاـ يـمـكـنـيـ مـنـهـ وـلـاـ تـغـيـرـهـ اـبـداـ، ذـلـكـ بـعـيـنـهـ سـيـحـلـ بـكـ.

نـاثـانـ: يـحـلـ بـيـ؟ وـلـكـنـ اـنـ يـهـيـ؟ اـنـ تـقـيمـ؟ وـاـذاـ خـدـعـتـيـ اـنـتـ
 يـاـ دـاـيـةـ هـلـ تـعـرـفـ هـيـ اـنـيـ جـئـتـ؟

داية: أني أوجه هذا السؤال إليك! إن كل عصب من اعصابها ما زال يهتز رعباً. وما زالت مخيلتها تصور لها النار علاوة على كافة تصوراتها... في حالة النوم ترى روحها مستيقظة وفي حالة اليقظة ترى روحها نائمة وهكذا ترى أحياناً احبط من حيوان أعمى وأخرى اسمى من ملك.

ناثان: أيها الولد المسكين. من نحن البشر!

داية: ظلت صباح اليوم مدة طويلة طريحة مطبقة العينين كالميت لا حراك بها ونهضت بفترة وصرخت قائلة: تسمع! أنصت: ها جمال والذي مقلة أنصت الى صوته اللطيف ثم عادت فاغمضت عينيها فوق رأسها على الوسادة بعد ان رفعت يدها من تحت رأسها فخرجتُ وعند وصولي الى الباب نظرتُ فإذا انتحقيقة آت . يا للعجب ان افكارها كانت طول هذه المدة عندك وعنده.

ناثان: عنده؟ ماذا تعنين بكلمة عنده؟

داية: عند الذي انقدرها من النيران.

ناثان: من كان هذا؟ من؟ أين هو؟ من الذي خلص ريحانتي من؟

داية: فارس هيكلني حدث السن جيء به اسيراً الى هنا منذ ايام بعد ان عفا عنه صلاح الدين.

ناثان: كيف؟ فارس عفا عنه صلاح الدين؟ يا الهي لم يكن خلاص ريحانته مكناً باجحوبة ابسط؟

داية: لولاه كانت هلكت. ذاك الذي اسلم حياته التي وهبها اليها السلطان صلاح الدين الى الخاطر. (١)

ناثان: يا داية أين هو هذا النيل؟ أين هو؟ قد يدلي حتى موطن قديمه. انت وهبة بدون تردد الكنوуз التي تركتها لك؟ وهبته كل شيء؟ ووعدته بأكثر؟ بأكثر كثيراً من الموجود؟

داية: هل كان ذلك باستطاعتي؟

ناثان: لا؟ ولماذا لا؟

داية: أني ولا احد يعلم من أين. وذهب ولا احد يعلم الى أين. دون أن يدعوه أحد من رسالنا. لقد قاده سمعه بفاء مرتدياً عباءته المسبيلة مخترقاً لهيب النار ووسط الدخان الكثيف كسنة الابطال متوجهاً الى حيث خرج الصوت الذي كان يستعين بنا وبعد ان حسبناه اصبح طعام الليب المندلع شاهدناه من خلال الدخان واللليب اذا به يقف امامنا حاملاً قتامة على ذراعه القوية واللبيب وكأن رابط الجأش غير مبال بهتاف الشكر والثناء ثم اجلس غنيمته على الارض واختفى بعد ان انساب بين الجموع المختشدة.

ناثان: ارجو ان لا يطول غيابه.

داية: بعد تركه ايانا بضعة ايامرأينا يسير روحه وجسمه تحت اثجار التخليل التي تضلل قبر من قام من بين الاموات فاقتربت منه

(١) لانه خصصها من النيران عند احتراق بيت ايتها.

باتجاج وشكته ونهضت اضرع اليه لاجة ليرجع ويرى مرة واحدة فقط تلك المخلوقة الصالحة (١) التي لن تجد راحة قبل ان تقدم اليه الشكر باكيه جائمه امام قدمه.

ناثان: والآن؟

داية: عثاً لقد سدَّ اذني عن سماع كلماتنا وسكب جام احتقاره على رأسي انا خصوصاً.

ناثان: وهذا ما جعلك تجمرين عن مقابلته ثانية.

داية: كلا بل كنت اقابلها يومياً والتحمل احتقاره وادعه يهيني كل مرة. واني كنت مستعدة ان اتحمل اكثر من ذلك عن طيبة خاطر. لكنه لم يرجع منذ زمان طويل لكي يزور اشجار النخيل التي تظلل قبر من قام من بين الاموات ولا يعرف احد اين يقيم الان. انت دهش؟ وغارق في افكارك؟

ناثان: اتي افكر بما داخل نفساً كنفس ريحانة. افكر بها كيف تحتمل الاهانة من شخص ترى احترامه واجباً لزاماً ومع رفضه ايها على هذه الكيفية ترى نفسها منجذبة اليه... حقاً ان القلب والدماغ يجب ان يتنازعا طويلاً ليفصلاً بين البعضان البشرية والكلابية وليقضيا بالغلبة لاحدهما ومراراً كثيرة لا ينتصر احدهما وعندئذ تتج التخيلات التي تشتراك في العراق انساناً متعصبين يسيطر عندهم احياناً الدماغ على القلب ومراراً

(١) داية تعني ريحانة بالخلوقة الصالحة

العواطف على الدماغ. ياله من تنازع مخيف. اني لا احكم على ريحانة بالباطل اذا جعلت العواطف تحكم على الدماغ لأنها متحمسة.

داية: الا ان تحمسها يدل على صلاح ولطف متاه.

ناثان: الا انه تحمس ايضاً.

داية: فاذا سمحت لي اقول حتى الخيالات ذات اهمية لديها فكم بالحربي اذا كان الذي تخيلته هو فارسها المهيكل وهو لا ينتمي الى العالم ولا الى ما هو عالمي بل كما اعتقد قلبها الصغير الذي كان يشق بجراسته هذا قد خرج من سحابته التي يتssh بها عادة وكان يحوم حولها حتى وسط النيران وظهر لها كفارس نيل. لا تضحك اذ من يعلم؟ دعها في غرورها هذا ضاحكاً منها اذ انه غرور يتحدد فيه الموسوي والمسيحي والمحمي. ياله من تخيل بديع ا

ناثان: في نظري ايضاً تخيل بديع . سيري يا داية الشجاعة سيري ا انظري ماذا تعمل وهل يمكنني مخاطبتها . بعدئذ اقتشر عن الملوك الحارس النفور المتقلب وادا كان يجب بعد ان يقىم بيننا وان يعيش عيشة الفارس الفظ ساجده ولا شك وآتي به الى هنا.

داية: انها لغامرة عظيمة.

ناثان: عندئذ يتخل الخيل الخالب عن مرکره للحقيقة الناصعة.

صدقني يا داية ان الانسان داءاً احب الى الانسان من الملوك

وانك لن تعصي عليّ اذا كنت احب ان ارى تلك المتحمسة
لملائكة تبرأ .
داية : انت طيب القلب ومحيف معًا . انا اطلق ولكن اصح وانظر
ها هي آتية بنفسها .

المنظر الثاني

(ريحانة والسابقون)

ريحانة: انت اي حقاً وليس احد غيرك . ظننت انك ارسلت صوتك
مع النسيم . اين اقت ؟ اي جبال وصحاب وانهار تفصلنا بعد ؟
انت تقيم في غرفة لا يفرقها عن غرفتها غير حائط ومع ذلك
لم تسرع لكي تضم ابنتك ريحانة الى صدرك ؟ ريحانة المسكونة
التي كادت تموت حرقاً اثناء ذلك . نعم كادت فحسب لا ترتعش
ان الموت حرقاً موت محيف .

ناثان: يا ولدي ... يا ولدي العزيز .

ريحانة: انت اجتررت الفرات ودجلة والاردن وكثيراً غيرها من
الانهار المجهولة . كم مرة ارتعد جسمي لاجلك قبل ان تقترب
النيران مني . لانه منذ اقتراب النيران مني صرت اعد الموت
حرقاً اغشاها واتعاشاً وخلاصاً . لكنك لم تفارق وانالم احترق .
لنفرح ولنسبح الله . قد حملك انت والقارب على اجنحة

ملائكته غير المنظورة عندما قطعت الانهار الخفيفة واوحي الى
ملاكي كي يحملني على اجنحته البيضاء وسط التيار على
مرأى من الناس .

ناثان: (يقف متذرياً) اجنحة بيضاء . اجل ! نعم ! عامة الفارس
البيضاء المسيبة .

ريحانة: حملني على مرأى من الناس وسط النيران مظللاً ايدي بحنائه .
اذاً انا رأيت ملاكاً وجهاً لوجه وهو ملاكي .

ناثان: ان ريحانة تستحق ذلك وهي لا ترى فيه شيئاً اجمل مما يرى
هو فيها .

ريحانة: (ضاحكة) تملق من يا ابتي ؟ من ؟ الملوك ام ذاتك ؟
ناثان: ان الذي قدم لك هذه الخدمة هو انسان فقط انسان مثلما تجود
به الطبيعة يومياً . طبعاً هو لك بثباته ملاك هكذا يجب ان يكون .
ريحانة: ما كان ملاكاً من هذا النوع . لا بل ملاكاً حقيقياً . طبعاً
كان ملاكاً حقيقياً الم تعني انت ان الملائكة موجودة وان
الله يصنع عجائب للذين يحبونه ؟ وكما تعلم فانا احبه .

ناثان: وهو يحبك ويعلم لك ولا مثال لك عجائب كل ساعة . اجل هو
قد بدأها منذ الازل وهو يظهرها لاجلك الان .

ريحانة: انا احب سماع هذا .

ناثان: كيف ؟ لان بحاتك على يد فارس حقيقي شيء طبيعي ويحدث
يومياً . يجب ان يحمل على الاعتقاد انها ليست عجيبة ؟ انت

اعظم العجائب هي ان تصبح العجائب الصادقة الحقة امراً اعتيادياً متى تكررت وبدون هذه العجيبة العامة يصعب على ذي فكر ان يدعوه بعجيبة ما يدعوه بعجيبة او لئك الاولاد الذين يتفرسون فقط بما هو غير اعتيادي ويسيرون وراء اجد الاشياء داية : (تخاطب ناثان) اتريد ان تدك دماغها المتضعضع بامور دقيقة كهذه دكاكاً تماماً؟

ناثان: اتركيني . الا تعتبر ربيتي ريحانه خلاصها على يد انسان بعجيبة حقيقية لان خلاصها تم على يد انسان تم خلاصه قبلها بعجيبة لا تستقل عنها عظمة^(١) لانه لم يسمع ابداً ان صلاح الدين عفا عن فارس ما او ان احد الفرسان طلب اليه ان يغفو عنه او رجا ذلك منه واذا عفا عن فارس ما كان يترك له عند اطلاق سراحه غير حمايل سيفه واذا تكرم ترك له خنجره .

ريحانة: يا ابت ان قولك هذا يمحعني استنتاج انه لهذا السبب بعينه لم يكن فارساً انا ظهرت بصورة فارس فقط لانه لم يأت فارس اسيراً الى اورشليم الا اذا سبق الى الموت المؤكد وكذلك لا يطلق سراح احد الفرسان في القدس ولذلك كيف يكون مكناً ان احدهم يتطوع لكي ينجني في الليل .

(١) اخذ الفارس اسيراً مع ١٩ فارساً قتلوا جميعهم ما عدا الفارس الميكلكي الذي عفا عنه صلاح الدين لانه رأى في وجهه شيئاً ياخذه اسعد ولهذا بعد العفو عنه بعجيبة عظيمة لان صلاح الدين كان يأمر بقتل كل فارس يقع اسيراً .

ناثان: يا له من تعقل تكلمي الان يا داية انا سمعت منك بانه ارسل اسيراً الى هنا . لا شك في انك تعليين اكثر من هذا .

داية: هو كذلك . هكذا يتكلم الناس وبذات الوقت يقال ان صلاح الدين عفا عن الفارس لانه يشهي اخاً له احبه مجحة خصوصية ولا انه منذ مدة طويلة تربو على العشرين سنة قد انتقل هذا الاخ الى عالم الابدية .. انا لست اعلم ماذا كان اسمه ولا اين اقام . يظهر ان هذا الكلام غير قابل التصديق الى درجة تحمل على الضلن ان ذلك الامر عار من الصحة .

ناثان: آه يا داية ولماذا يعد هذا غير قابل التصديق ؟ لا اظن كما هو الواقع انهم يفضلون ان يصدقوا ما هو اكثراً غرابة من ذلك ولماذا لا يصدق ان صلاح الدين الذي كان يحب جميع اخوه واخواته كان يحب في حداته اخاً له مجحة خصوصية ؟ الا يتتشابه وجهان ؟ هل يعد وقع قديم في النفس مفقوداً ؟ او لا يؤثر الشيء المتشابه ذات التأثير بعد ؟ متى ؟ اين هو الشيء الغير قابل التصديق . نعم يا داية الحكيمية لم يعد هذا بعجيبة بعد عندهك . عجائبك فقط تحتاج الى التصديق عفواً يا داية بل تستحق التصديق . داية: انت تهزأ .

ناثان: لانك تهزئين بي وعلى الرغم من ذلك فان نجاتك يا ريحانة على هذه الطريقة تبقى بعجيبة يقدر على صنعها فقط الذي يدير دفة

اعظم قرارات الملوك واسع خططهم على اهون سهل وفي اخطر الحالات لانها الوعبة لديه ان لم تكن سخرية امامه .
ريحانة: يا ابناه يا ابناه اذا اخطأ لا يخفى عليك باني لا اغاظط الا مرغمة ناثان: انت حريقة بقبول التدريب عن طيب نفس هنا ترين جبهة فهمها كانت استدارتها وسطح اتف بها كانت هيأته وحاجبين مهما كان شكل استسلامها على حجاجين محدثين او غير محدثين ثم ترين خطأ مقوساً وزاوية وتتجدد علامات فارقة وكل هذا في وجه شخص اوري وخيطى الطلة(١) ثم تخالصين من النار في آسيا ومع ذلك لا يُعد هذا عجيبة ايتها الامة التي تتوق الى العجائب لماذا تصدعن خاطر ملوك .

داية: يا ناثان اي ضرر يحصل اذا كان الانسان يفضل ان يعتقد انه خلص على يد ملوك من ان يعتقد انه خلص على يد انسان وليس الاقرب الى ادراك الانسان ان يبني خلاصه على الاعتقاد الاول ؟

ناثان: كباره وليس الا كباره تمنى ان تسحب قدرة الحديد بملقط فضي من طيب النار خادعة نفسها انها قدرة فضة(٢) يا للسخرية انت تسألين هل من ضرر ؟ اسمحي لي ان اعيد هذا السؤال :

(١) يريد بهذا الوصف وصف وجه الفارس الميكلي الذي خلاصها من النار والذي وجد صلاح الدين في ملائمه شهباً شديداً باخيه . (٢) هنا يعني ان ملقط الفضة هو الملوك وان قدرة الحديد هي ريحانة وبنظرها تصير قدرة فضة اذا كان خلاصها قد تم على يد ملوك

اي نفع يرجي من اعتقادك هذا اظنني انك به تكونين اقرب الى الله ؟ حقاً ان ظنك هذا ليس الا سخافة وتجديفاً ليس وراءه الا الضرر . اجل انه على كل حال مصر . تعالى واضعينا الى اليهليس حقاً انكم تريدان وخصوصاً انت يا ريحانة ان تقدموا الى الكائن الذي افتك خدمات كبيرة عن طيبة خاطر . ما هي الخدمات الكبيرة التي يمكنكم ان تقدمها الى الملائكة ؟ يمكنكم ان تشكراه وتضرعا اليه وان تذوبا هيااماً به وان تصوما في يوم عيده وان تفرقوا الصدقات انما هذا باطل واني اظن انكم واقاربكم تنتفعون بها اكثر منه كثيراً انه لن يسمن من صيامكم ولن يثري من عطائكم ولا يصبح اكثراً من تأثيركم ولا اكثراً عظمة بثقتكم . اليهذا حقاً ؟ ما الحيلة والانسان انسان .

داية: حقاً ان الانسان يتبع لنا فراصة اعظم خدماته والله يعلم انت كما مستعدتين لتلك الخدمات عن طيب نفس الا انه ما كان يريد شيئاً ولا هو بحاجة الى شيء وكان جذلاً بنفسه كالملائكة وكما هم الملائكة فقط .

ريحانة: اخيراً عندما احتفى تماماً .

ناثان: احتفى ؟ كيف احتفى ؟ لم يدع احداً يراه تحت النخيل ؟ كيف ؟ هل قتستها عنه حقيقة بعد ذلك ؟

داية: لا لم نفعل هذا .

ناثان: لم تفعل ذلك يا داية ؟ و اي ضرر ينجم عن هذا ؟ ما اقصاكا متحمسين . هب ان هذا الملائكة مرض ...

داية: مرض ! هو لا يمرض بتة !

ريحانة: اعتنقي البرداء الان . المسي جهي يا داية هي تكون عادة حارة ولكنها بردت بعنة الصقير .

ناثان: هو افرنجي غير معتمد على مناخ البلاد . هو حدث السب و غير معتمد على اعمال طعمته الشاقة ولا على الجموع والسهر .

ريحانة: مريض ... مريض !

داية: قد يكون ذلك وهذا فقط ما عناه الان ناثان .

ناثان: ها هو طريق هنا وليس له صديق ولا مال ينفقه في سبيل اقتناه الاصدقاء ..

ريحانة: اووه يا اباه .

ناثان: هو طريق بلا عنایة ولا مشورة ولا عطف هو فريسة الوجاع والموت .

ريحانة: اين ؟ اين ؟

ناثان: كفاه تعرضاً انه كان انساناً طرح نفسه في وسط النيران لينفذ فتاة لم يعرفها ولم يرها قط .

داية: ترأف بها يا ناثان !

ناثان: هو الذي ما احب ان يتعرف الى من انقذها ولا احب ان يراها ليوفر عليها تقديم الشكر له .

داية: ترأف بها يا ناثان !

ناثان: كلام لم يطلب انت يراها الا اذا اقضى الامر خلاصها مرة ثانية . كفى انه كان انساناً .

داية: توقفوا عن الكلام واظروا .

ناثان: هذا الذي وهو على فراش الموت لا يعزيه شيء غير الوصول مثل هذا العمل .

داية: توقف عن الكلام انت تقضي على حياتها .

ناثان: وانت قد قضيت على حياتها . يا ريحانة يا ريحانة كان تصرفك كافياً لأن يقضي عليه . ان ما اقدمه لك هو علاج وليس سماً .

هو حي وسيأتي اليك هو بخير وليس مريضاً . لا ليس مريضاً .

ريحانة: يقيناً ؟ — ليس ميتاً ؟ ليس مريضاً ؟

ناثان: مؤكداً ليس ميتاً لأن الله يجازي البر المصنوع على هذه الدنيا ايضاً في هذا العالم . انطلاقي ولكن هل تدركين عظم سهولة المحسوس الورع اذا قابلناه بعمل البر ؟ وكيف ان احمل الناس يتهوس ورعاً لكي يتخلص من عمل البر دون ان يكون على روبيه من امره .

ريحانة: او يا اباه لا تترك ريحانة وحدها ابداً فيما بعد لا تظن انه ربما يكون مسافراً فقط ؟

ناثان: انطلقنا . حتى انا ارى هنالك رجالاً مسلماً يمعن النظر بمحابي الموقرة ويترفس بها تفروساً فضولياً اتعرفانه ؟

داية: هو درويشك.

ناثان: من؟

داية: هو درويشك ورفيقك في لعب الشطرنج.

ناثان: الحافظ؟ هذا هو الحافظ.

داية: هو الان خازن الملك.

ناثان: ماذا؟ الحافظ؟ هل تخلين من جديد؟ هو هو. حقاً هو.
هو آتِينا ادخل حالاً الى داخل. ماذا اسمع منه الان؟

المنظر الثالث

(ناثان والدرويش)

الدرويش: افتح عينيك بقدر استطاعتك.

ناثان: انت هو ام لا؟ درويش بهذه الابهة!

الدرويش؟ ولم لا يمكن ان يصبح الدرويش عضواً مفيدةً في الهيئة
الاجتماعية؟

ناثان: طبعاً بسهولة لكنني كنت دائماً اظن ان الدرويش الحقيقي لا
يريد ان يصبح عضواً مفيدةً في الهيئة البشرية.

الدرويش: اقسم بالنبي! ان كوني غير درويش حقيقي لا يخلو من
الصحة. ولكن اذا لزم الامر....

ناثان: لزم الامر. درويش. الدرويش يلزم؟ ولا انسان يلزم
والدرويش يلزم؟ لماذا يلزم؟

الدرويش: يجبر الدرويش على القيام بالعمل الذي يطلب اليه عمله
بلجاجة ويعترف هو بجودته.

ناثان: بالله! بالصواب اجبت. - دعني اضحك الى صدري يا انسان. -

انت ما زلت صديقي؟

الدرويش: الا تسأل او لا؟ ماذا صرت انا؟

ناثان: رغمأ ما صرتاه!

الدرويش: لا يجوز اني صرت زولاً مستخدماً في الحكومة لا
تروقك صداقته؟

ناثان: اذا كان قلبك ما زال قلب درويش فاني مع ذلك اتجاسر على
هذا. لان الرول الذي في خدمة الحكومة ليس غير ثوبك.

الدرويش: ان هذا يتطلب الاكرام ايضاً. ماذا تظن؟ احزر! ماذا
تكون وظيفتي في البلاط؟

ناثان: درويشاً ليس الا. ولربما الى جانب هذا طاه.

الدرويش: اجل طاه اذ ربما يتمنى لي ان انسى مهني عنده. او ليس
خادم مائدة ايضاً؟ اعترف بان صلاح الدين يعرفني اكثر مما
يعرفك لاني خازنه.

ناثان: انت؟ انت عنده؟

الدرويش: اعلم اني خازنه الصغير اي خزانة بلاطه لات والده ما
زال الخازن العام.

ناثان: ان بلاطه كبير.

الدرويش: اكبر مما تظن . لأن كل مرتزق ينتسب اليه .

ناثان: مع ذلك يكره صلاح الدين المرتزقة .

الدرويش: حتى انه وضع نصب عينيه ابادتهم اصلاً وفرعاً ولو حمله

ذلك على ان يصبح احدهم .

ناثان: يا للنبالة والزاهة . هذه افكارك ايضاً .

الدرويش: بل قد اصبح واحداً منهم لأن خزانته تكون عند كل

غروب شمس خالية خاوية تماماً ومهما عظم الدخل صباحاً

يكون قد بذر تماماً عند الظهر .

ناثان: لأن ترعا لا يمكن قطعياً ملؤها او سدها تتبع قسماً منها .

الدرويش: اصبت .

ناثان: انا اعرف هذا .

الدرويش: متى كان الامراء عقباناً حول جيف لا يرجى منهم نفع

واذا كانوا جيفاً حول عقبان يزداد شرهם عشرة اضعاف .

ناثان: لا ايتها الدرويش لا . الامر ليس كذلك .

الدرويش: انت تستطيع تتميق الكلام . تعال . ماذا تعطيني لاترك

لك وظيفي .

ناثان: ما هو دخل وظيفتك ؟

الدرويش: دخلي ؟ ليس كبيراً ولكنك تستطيع انت ترابي في هذه

الوظيفة اذ انه حينما تكون الخزانة في حالة الجزر - كما هو

الامر غالباً - يمكنك اذ ذاك انت تفتح سدولك وتسلفك

الخزانة ولك ان تقضى الفوائد بقدر ما يطيب لك .

ناثان: ايضاً الفائدة المركبة ؟

الدرويش: طبعاً .

ناثان: حتى يصبح رأس مالي كله فائدة .

الدرويش: الا يغريك هذا ؟ اذاً على صداقتنا السلام ! لاني بالحقيقة
كنت ارجوان اعتمد عليك كثيراً .

ناثان: اتكلم الحق ؟ ماذا تعني ؟ كيف ذلك ؟

الدرويش: انك ستساعدني على القيام بوظيفتي بشرف وانه يمكنني
دائماً الاعتداد على مساعدتك المالية .

ناثان: دعنا نفرق بكل جلاء بينك انت ايها الحافظ الدرويش الذي
ارحب به دائماً ضمن ما هو تحت سلطتي وبين الحافظ (دفتردار)
صلاح الدين الذي

الدرويش: لم احزر انا ؟ انك دائماً حسن السيرة حصيف . حصيف
وحكيم . صبراً ! ان علامتك الفارقة في الحافظ يجب فرقها عن
قريب . . . انظر هنا الخلعة التي خلعتها علي صلاح الدين ستعلق
على مشجب في اورشليم قبل ان تبوخ وتسمزك كما يرتديها
الدرويش وانا ساقم على نهر الكنج حيث ندوس انا وعلمي
حفة وبخفة على الرمال .

ناثان: يشهدك كفاية !

الدرويش: والعب مهمهم الشطرينج .

ناثان: يا لغبتك !

الدرويش: اعتبر بالذى خدعني ! لكى لا استعطي مدة اطول ؟ ولكى اظهر بين الفقراء غنىاً في حالة فقري ؟ ولكى استطع تحويل اغنى المستعدين في لحظة الى فقير كان غنىاً .

ناثان: الامر ليس هكذا .

الدرويش: يا للسخافة ! للرة الاولى اشعر انى املق بسبب غرور صلاح الدين الناجم عن سلامه طويه .

ناثان: اي غرور ؟

الدرويش: فقط المستعدي يشعر مع المستعدي . والمستعدي فقط تعلم ان يهب المستعدين على اسلوب لطيف ثم قال لقد اظر لي سلفك جفاء وخشونة زائدة . وعندما كان يهب كان يعطى بشكارة . كان يستخبر اولاً بعنف اولاً عن السائل ولم يرض قط ان يرى العوز فقط بل كان يجب معرفة سبب العوز وبحسب السبب كان يزن العطية بشح . ان الحافظ يتصرف هكذا وصلاح الدين لا يظهر لطيفاً في مثله الحافظ العاري من اللطف والحافظ سماهيل انا يبيب مسدودة تجري فيها المياه العذبة الماءه . فتخرج منها كدرة ذات فوائق . ان الحافظ يفتكر فكري ويشعر شعوري وهكذا كان صغير صائد العصافير حلواً الى ان وقع الساذج في الفخ . انا الغبي . انا اغنى الاغبياء .

ناثان: مهلاً ايها الدرويش مهلاً الا يُعد عمل من يتظاهر بصداقه

الدرويش ؟

أفراد البشر بیننا هو يستبد بئات الالوف منهم ويضيقهم وينهضهم ويعذبهم ويختنقهم غباوة ؟ الا يُعد تقليد لطف المتعالي الذي ينتشر بين الاشرار والابرار وعلى الحقول وفي الفقار اثناء الصحو وزرول الامطار ايضاً غباوة ماذا تظن ؟ الا يُعد تقليد هذا دون الحصول على نعم المتعالي الكثيرة غباوة ؟

ناثان: كفى ! توقف عن الكلام !

الدرويش: دعني اذكر غباوتى فقط ! ماذا ؟ الا يُعد تتبع اثر محسن غباوة كنهه للاشتراك بها حجاً بمحاسنها الغباوة بعينها ؟ هه . هه ؟ اليك كذلك ؟

ناثان: اسرع بالرجوع الى بريتك ايها الحافظ اني اخشى عليك ان تنسى ان تكون انساناً طالما انت بين الناس .

الدرويش: بالصواب اجبت . اني اخشى ذلك ايضاً بالحفظ والامان . ناثان: لماذا هكذا سريعاً ؟ عليك بالانتظار ايها الحافظ ! هل تهرب البرية من امامك ؟ انتظر ! ليته يسمعني . الي ايها الحافظ ! قد ذهب مع اني اود ان اسألة عن فارسنا النبيل . يظهر لي انه يعرفه .

المنظر الرابع

(داية تسرع بالحضور . ناثان)

داية : او يا ناثان . اواه !

ناثان: حسن . ماذا جرى ؟

داية : قد بدا للعيان . قد بدا ثانية .

ناثان : من يا داية من ؟

داية : هو ... هو ...

ناثان . هو ؟ هو ؟ ومتى لا يرى ؟ يا له من تعbir انت تعين شخصاً معلوماً فقط . — عليه ان لا يفعل هذا حتى ولو كان ملاكاً .

داية : هو يتمشى تحت اشجار التخيل ذهاباً واباماً ومن آونة الى اخرى يقطف بلحاً .

ناثان : هو يأكلها ؟ كفارس ؟

داية : لماذا تعذبني ؟ ان بصرها المتألف الى رؤيتها عرفه وراء شجر التخيل الكثيف المتعارض وتبعد نظراتها بلا انقطاع وهي ترجو منك و تستخلفك ان تخاطبه بلا ابطاء . ارجو منك ان تسرع . وهي ستنشير اليك من النافذة اذا كان يجب ان يصعد الى فوق او يستمر سائراً . او اه اسرخ !

ناثان : حالا عند نزولي عن ظهر الجبل ؟ ايليق هذا ؟ اذهبي واسرعي انت اليه و اخبريه عن رجوعي واحذر اي ان هذا الرجل النزيه لم يرد ان يدخل الى بيتي اثناء غيابي ولا يمتنع من الحضور اذا دعاه رب البيت بذاته . اذهبي انا اتوسل اليه وارجو منه رجاء قليباً .

داية : كل شيء يذهب عشاً ! هو لا يحضر اليك . وبعبارة مختصرة هو لا يأتي الى بيت يهودي ..

ناثان : فاذهي اذهبى على الاقل لكي تؤخريه ولكي ترمي به عينيك .
اذهي سأبعلك حالاً .

(ناثان يسرع الى داخل وداية تخرج)

المنظر الخامس

(المشهد : عل خليل يسير فيه الفارس روحه وجิตة وعلى مسافة منه يسير الى جانب راهب
كانه يريد ان يخاطبه)

الفارس : هو لا يتبعني من شدة الملل . — انظر كيف يحول نحو يدي . هو يتبعني لكي يطلب صدقة للدير . ايهما الاخ (١)
الصالح ... انا استطيع ان ادعوك ابا روجياً ليس كذلك ؟ .
راهب الدير : فقط اخ . اخ عامي عليه ان يخدم فقط
الفارس : ايهما الاخ الحسن الشمائل حقيقة . يا ليتني املك شيئاً . بالله
تالله ! لست املك شيئاً قط !

راهب الدير : ومع ذلك اقبل الشكر القلبي . جازاك الله الف ضعف
على ما تعطيه بفرح لأن قدر المعطي يتوقف على نيته وليس على
عطيته وانا لم ارسل اليك لكي اتقاضاك صدقة .

الفارس : ولكنك ارسلت الي .
الراهب : نعم من الدير .

(١) كلمة اخ تعني هنا راهب دير .

الفارس: حيث رجوت اننا الان ان اجد طعاماً بسيطاً يقدم الى الزوار.
الراهب: كل محل على الموائد كان مشغولاً . فليرجع الفارس معي.
الفارس: لماذا ؟ انا لم اتناول لها منذ مدة طويلة فلا بأس . لان
الثر ناضج .

الراهب: ليحضر السيد هذه الامان . لان الاكثار من تناولها مضر
ويسبب احتقاناً في الطحال ويسبب السوداء ايضاً .

الفارس: و اذا فرضنا اتي اسر بالسوداء ؟ لكنك لم ترسل الي لاجل
تبليغي هذا التحذير ؟

الراهب: كلا . كان يجب علي ان استخبر عن هوبيك وان العقبك .
الفارس: هل باستطاعتك ان تقول لي هذا ؟

الراهب: ولم لا ؟

الفارس: يقول في نفسه : ياه من اخ مكار افي الدير كثيرون على
شأكلك ؟

الراهب: لا اعلم ! ائماً يجب علي الطاعة ايها السيد المحترم .

الفارس: هل تطيع هنا ايضاً قبل ان تتصرر كثيراً بالامر ؟

الراهب: هل يُعد تصرفي طاعة اذا تبصرت بالشيء ايها السيد المحترم ؟

الفارس: (عمباً) كيف ان السذاجة تصيب دانماً) ولكنك تقدر ان تبوح لي
من هو الذي يجب ان يختبرني بال تمام ؟ انا استطيع ان اقسم
انك لست انت هو بذاتك .

الراهب: هل يليق بي هذا ؟ وهل يحدني نفعاً ؟

الفارس: من يليق هذا ومن ينتفع به حتى انه اصبح هكذا فضوليأ ؟
من هو ؟ .

الراهب: علي ان اجزم انه البطيريك لانه هو الذي ارسلني اليك .

الفارس: البطيريك ؟ الا يعرف الصليب (١) الاحمر الذي على العباءة
البيضاء معرفة افضل ؟

الراهب: ما لنا انا اعرفه ا

الفارس: هل ابدأ الان ايهما الاخ ؟ هل ابدأ ؟ — انا فارس هيكلي
واسير . انا اردف ذلك بقولي قد اسرت عند تينين (٢) القلعة
التي كنا نحب الاستيلام عليها عند آخر ساعة من ساعات المدنة
لكي تتمكن عندئذ من الهجوم على صيدا . واردف هذا بما
يليه : انا احد الاسرى العشرين والوحيد الذي عفا عنه صلاح
الدين وهكذا يعرف البطيريك الان ما يلزمته معرفته . واكثر
اما يلزمته .

الراهب: هيهات يصعب ان يكون اكثراً مما يعرفه حتى الان . هو
يحب ايضاً ان يعرف لاي سبب عفا صلاح الدين عن السيد
وحده فقط .

الفارس: هل اعرف هذا انا بذاتي ؟ بعد ان عُرتي عنقي ركعت على
عيمتي متضرراً ضربة الجلد وادا بصلاح الدين ينظر الي نظرة

(١) هذه علامة فرسان ماريونا

(٢) تينين هي قلعة كانت بالقرب من صيدا تغلب فيها العرب على الصليبيين سنة ١١٨٧

احدَّ ما سبق ثم ركض نحوه وأشار إلى شم أنْهضت وفكَتْ
قيودي وعندما اردت شكره رأيت عينيه مغورقتين بالدموع.
فصمت وصمت أنا شم انطلق أما أنا فبقيت في مكانِي. — أما
علاقة هذا بعضه بعض فليحلها البطيريك بنفسه.

الراهن: هو يستنبع من هذا أن الله قد اختارك لأشياء عظيمة جداً.
الفارس: نعم لأشياء عظيمة! لخلاص ابنة^(١) يهودية من النار
ولمرافقه^(٢) سياح من محبي الاطلاع إلى مقاطعة سينا وما
شاك ذلك.

الراهن: الأشياء المهمة سيأتي ذكرها بعد. وما حدث ليس ردّيّاً
وزبما للفارس عند البطيريك اشغال مهمة أكثر كثيراً من هذه.

الفارس: هل تظن ذلك أيها الأخ؟ وهل جعلك تلاحظ شيئاً؟
الراهن: نعم! غير أنه على أولاً أن ابرهن لك أيها الفارس إذا
كنت أنت الرجل الموافق لهذا الأمر.

الفارس: لا بأس برهن — إلا أني أريد أن أرى كيف يبرهن ذلك —
والآن؟

الراهن: إن أقصر طريق هو اطلاع الفارس على مشيئة البطيريك.
الفارس: حسناً تفعل.

(١) شارة إلى خلاص ريحانة من النار.

(٢) أي لكي يرافق الفارس الميكلاني السياح الأفونج إلى مقاطعة سينا.

الراهن: كان يتمنى أن يرسل رسالة صغيرة بواسطة الفارس^(١)
الفارس: بواسطي؟ أنا لست ساعياً — هل هذا العمل أكثر خيراً
من تخليص ابنة يهودية من الحريق؟

الراهن: يجب أن يكون كذلك. لأن البطيريك يقول إن المسيحية
كلها يهمها كثيراً أمر هذه الرسالة والبطيريك قال إن من
يوصل هذه الرسالة إلى محلها سيكافئه الله في السماء بناج خاص.
ويقول البطيريك ليس هناك من هو أهل لهذا الناج أكثر من
سيدي الفارس.

الفارس: أكثر مني؟

الراهن: إن البطيريك يقول قلما نجد من هو أهل لنوال هذا الناج
أكثر من سيدي الفارس.

الفارس: أكثر مني؟

الراهن: هو هنا حُرّ طليق^(٢) ويستطيع أن يستطلع طلع كل مكان
هنا^(٣) وهو يدرك كيف تهاجم المدف وكيف يدافع عنها.
والبطيريك يقول هو أفضل من يعرف أهمية وقوه وضعف
السور الثاني الداخلي الذي شاده صلاح الدين حدثاً وأن يصفه
أفضل وصف للجاهدين في سبيل الله.

(١) الكتاب المقصود أرساله كان يريد أرساله إلى قائد الحملة الصليبية التي في فلسطين على
يد الفارس الميكلاني الذي أراد البطيريك أن يستخدمه كحاوس ضد صلاح الدين.

(٢) أي الفارس الميكلاني. (٣) أي يتتجسس.

الفارس: ايها الاخ الحسن الخصال ليتني اطلع على تفاصيل خوفى الكتيب.

الراهب: سمعاً وطاعة — الا انني لا اعرف خواه تماماً. الكتيب مرسى الى الملك فيليب^(١) (هنا يقاطع نفسه بقوله) البطريرك . . . ثم يرجع الى فكره الاول) كثيراً ما تعجبت كيف ان قديساً وهو هامُّ في افكاره متأنل في السماويات يتنازل في ذات الوقت للاطلاع على امور هذا العالم. لا شك في ان ذلك صعب عليه.

الفارس: والان؟ البطريرك؟

الراهب: هو يعرف حق المعرفة وبكل دقة كيف وain يشرع صلاح الدين بالقتال اذا احتملت الحرب من جديد ويعرف ايضاً عدد المغاربين.

الفارس: هو يعرف هذا؟

الراهب: نعم ويجب ان يطلع الملك فيليب عليه لكي يمكنه ان يميز على قدر المستطاع اذا كان تمة خطر كبير يهدد اعادة عقد المهدنة مع صلاح الدين بعد ان فككت عراها طغمة رهبتكم. وهذا يجب عمله منها كلف الامر.

الفارس: يا له من بطريرك! قد ادرك ان صاحبنا الشجاع لا ينوي استخدامي كساع اعيادي بل بجاسوس — ايها الاخ الكريم قل لبطريرك انه بقدر ما استطعت من سبرغوري

(١) هو فيليب الثاني ملك فرنسا المدعو فيليب اوغسطوس.

عليت اني لن اعمل عملاً كهذا فانا ما زلت اعد نفسى اسيراً. ومهنة الفرسان الهيكليين الوحيدة هي النزال بالسيف وليس التجسس.

الراهب: هذا ما كنت اظنه ولذلك لا اعتب كثيراً على الفارس. فالليك هذا الخبر الحام. ان البطريرك قد تحقق تماماً اسم القلعة المخرون فيها مبالغ طائلة جداً من المال وهو يعلم اين موقفها في لبنان. ان ابا صلاح الدين البعيد النظر كان يدفع من هذه المبالغ مرتبات الجنود وثمن معدات الحرب وكانت صلاح الدين من حين الى اخر يذهب من طرق متزوية الى هذه القلعة وقبلاً رُؤي احد في معيته. هل ادركت قصد البطريرك؟

الفارس: ابداً.

الراهب: اي شيء اسهل من التغلب على صلاح الدين؟ والقضاء عليه؟ انت تقشعر؟ حقاً ان بعض الموارنة الخائفي الله قد تطوعوا لقضاء المهمة اذا قادهم رجل باسل.

الفارس: والبطريرك يجب ان يختارني لاكون هذا الباسل؟

الراهب: هو يظن ان الملك فيليب اقدر من غيره على مد يد المعونة لهذا الامر من مدينة عكا.

الفارس: لي؟ لي ايها الاخ؟ لي؟ لم تسمع؟ لم تسمع فقط كم انا مدین بالشكير لصلاح الدين؟

الراهب: اجل قد بلغني ذلك.

شيء؟ وهل أخفيه لارضي بطريرك؟ هكذا انت ايتها الطبيعة لا تكذبين كما ان الله لا ينافض ذاته باعماله! انطلق ايها الاخ! لا تهيجني انطلق! انطلق!

الراهب: سانطلق ولكنني سانطلق اكثر انشراحأ ما اتيت. استميحك عفواً ايها الفارس نحن عشر الرهبان تجحب علينا طاعة رؤسائنا.

المنظر السادس

(الفارس وداية التي كانت منذ مدة تراقب الفارس عن بعد واقتربت منه الان)

داية: (تغاطب نفسها) حسب ظني ان الراهب لم يتركه هاديء البال ومع ذلك اتجاسر ان افاته بالقضية.

الفارس: جيد جداً! الا يصدق المثل القائل: ان الراهب والمرأة والمرأة والرجل كلها مخلب الشيطان؟ فهو يقذفي اليوم من مخلب الى آخر.

داية: ماذا ارى؟ اراك ايها الفارس النيل؟ الحمد لله او الله الحمد او لا وآخرأ. اين اقت طول هذه المدة؟ عسى انك لم تكن طريح الفراش؟

الفارس: لا.

داية: لكن مالك الصحة؟

الفارس: نعم.

الفارس: ورغمـاً من ذلك؟
الراهب: نعم — ان البطيريك يظن ان لا بأس بهذا. اما الله وطغمة الراهبة

الفارس: لا يغيران شيئاً ولا يستطيعان ان يامـاني ان اتمـ اعمالـ صيانـة.

الراهب: طبعـاً لا ... غير ان البطيريك يعتقد ان الافعال الصيانـة امامـ الناس ليسـت افعـالـاً صيانـة امامـ الله.

الفارس: أقضـى على حـيـاة صـلاحـ الدـينـ وـاـنـاـ مدـيـنـ لـهـ بـحـيـاتـيـ؟
الراهب: يا للعار! لكنـ البطـيرـيكـ يـظنـ انـ صـلاحـ الدـينـ ماـ زـالـ عـدـوـ المسيـحـيـةـ وـهـوـ لـذـكـ لـاـ حـقـ لـهـ انـ يـكـونـ صـدـيقـكـ.

الفارس: فقطـ صـدـيقـ؟ـ وـهـلـ يـنـعـيـ انـ اـكـونـ صـدـيقـاـ جـلـقاـ رـذـيلاـ؟ـ عـدـيمـ الشـكـ؟ـ

الراهب: علىـ كـلـ حالـ.ـ نـعـمـ انـ البطـيرـيكـ يـظنـ اـنـاـ نـخـنـ البـشـرـ بـرـاءـ منـ تـقـديـمـ الشـكـ.ـ بـرـاءـ اـمـمـ اللهـ وـالـنـاسـ اـذـ حـصـلـنـاـ عـلـيـ مـعـرـوفـ لـمـ يـصـنـعـ خـصـيـصـاـ لـاجـلـنـاـ وـمـيـ عـرـفـ انـ صـلاحـ الدـينـ عـفـاـ عـنـكـ فـقـطـ لـانـهـ تـرـاءـيـ لـهـ مـلـامـحـ وـجـهـكـ وـفـيـ طـبـائـكـ شـيـءـ مـنـ اـخـيـهـ ...ـ

الفارس: البطـيرـيكـ يـعـرـفـ هـذـاـ اـيـضاـ وـمـعـ ذـكـ؟ـ وـاحـسـرـتـاهـ!ـ يـاـ لـيـتـ هـذـاـ مـؤـكـدـ.ـ اوـاهـ يـاـ صـلاحـ الدـينـ!ـ كـيـفـ؟ـ وـهـلـ كـوـتـتـ الطـبـيـعـةـ فـيـ لـحـةـ مـنـ مـلـامـحـ اـخـيـكـ دـوـنـ اـنـ يـكـونـ لـهـ اـيـقـيـ نـفـسـيـ

داية : حقاً كنا مضطربين بالال كثيراً من اجلك .

الفارس : كذا ؟

داية : لا شئ كنت مسافراً ؟

الفارس : حزرت .

داية : ورجعت اليوم ؟

الفارس : امس .

داية : اواه والد ريحانة رجع اليوم ايضاً والآن هل تستطيع ريحانة
ان تأمل ؟

الفارس : تأمل ماذا ؟

داية : تأمل الامر الذي راحتك كثيراً لاجله والآن يدعوك والدها
بنفسه بلحاجة . هو رجع من بابل ومعه عشرون جملة محملة
انفر البهارات والحجارة الكريمة وانفر المنسوجات الهندية
والفارسية والسورية حتى السينائية .

الفارس : لا لا ابتاع شيئاً .

داية : ان امته تكرمه اكرام الامراء ولكنني اتعجب كثيراً لأنهم
يدعونه ناثان الحكم وكان اخرى بهم ان يدعوه ناثان الغني

الفارس : ربما غني وحكم سواء عند امته .

داية : كان يجب ان تدعوه قبل كل شيء الكريم الاخلاق لانك لا
تستطيع ان تتصور كرم اخلاقه فعندما سمع ان ريحانة مدينة
لك كثيراً لم يتمنع من ان يعمل لك كل شيء ويهبك كل شيء .

الفارس : نعم !

داية : جرب و تعال انظر !

الفارس : ماذا ؟ كم من الزمن ؟ مقدار لحة بصر ؟

داية : لوم يكن كريم الاخلاق هل كنت استطيع الاقامة عنده هادئة

البال مدة هذا طولها ؟ ام تظن اني لم اشعر باكرامي كمسيحية ؟

انا ايضاً لم يرتل لي وانا في المهد باني سارافق قريني الى فلسطين

لكي اقوم هنا بتربية ابنة يهودية فقط . كان زوجي الحبيب

خادماً نبيلاً في جيش القيسير فريديريك — (يقطنها الفارس)

الفارس : كان سويسري المولد فنان شرف الغرق مع جلالاته القيسارية (١)

في نهر واحد . — يا امرأة ! كم من المرات قصصت علي هذه

الحكاية ؟ الا تقلعين ابداً عن اضطهادي ؟

داية : اضطهادك يا رباه !

الفارس : نعم نعم اضطهادي ! انا لا اريد ان اراك ابداً فاما بعد . ولا

احب ان تذكرني دائماً بعمل لم اعره اهمية قط وكلما افتقركت

يه يظهر لي كاحجية . نعم لا اندم عليه لكن اعلي اذا حدث

حادث مثله مرة اخرى فانت الملامة اذا لم اتصرف بسرعة تاركاً

النار تلتهم ما بدأت تلتهمه حتى استعلم او لا عن واقعة الحال .

(١) يعني هنا فريديريك الاول القيسير الالماني المدعو عادة ببروسيا الذي غرق في نهر

سابق الذي يسميه الارفنج كلسدون في بيسيديا من اعمال اسيا الصغرى في ١٠ حزيران

سنة ١١٩٠ وبعضاً يقول انه غرق في نهر العاصي .

داية : حاشا وكلاء .

الفارس : على الأقل تكرموا علي من الان فصاعداً ولا تعودوا بالعرفوني .
ارجو منكم هذا وابعدوا عني الوالد ايضاً . ان اليهودي يبقى
يهودياً . اما انا فشوابي (١) فقط ان رسم الابنة قد زال من
مخيلتي منذ زمن طويل اذ كان قد علق بها مرة ما .

داية : الا ان رسمل لم يزل من مخيلتها .

الفارس : هل لهذا الحديث هنا من علاقة ؟ وما هي علاقته ؟

داية : من يعلم : الناس ليسوا دائماً كما يظهرون للعيان .

الفارس : ولكن نادراً افضل مما هم (ينطلق الفارس)

داية : لطفاً انتظر ! لماذا تسرع ؟

الفارس : ايها المرأة لا تحمليني على كره اشجار النخيل التي اسير في
ظلها مبتوجاً .

داية : اذا انطلق ايها الدب الالماني ! انطلق ! ولكن يجب علي ان لا
اضل عن اثر خطوات الحيوان . (هي تتبعه عن بعد)

(١) نسبة الى قسم من ورتبرج في المانيا .

الفصل الثاني

المنظر الاول

(المشهد : بلاط السلطان . صلاح الدين وسته يلعبان الشطرنج)

سته : اين انت يا صلاح الدين ؟ لماذا تلعب اليوم هكذا ؟

صلاح الدين : اليك لعبي جيداً ؟ اظن اني العب جيداً .

سته : لعبك يكاد لا يوافقني . غير هذه اللعبة .

صلاح الدين : لماذا ؟

سته : لأن الفرس غير محظوظة .

صلاح الدين : هذا صحيح . والآن هكذا .

سته : وهكذا اطلب قطعتين .

صلاح الدين : وهذا ايضاً صحيح . — اذا شاهدك !

سته : ماذا يجديك هذا ؟ انا اتقدم وانت ما تزال كما كنت .

صلاح الدين : انا ارى جيداً انه لا يمكنني الخروج من هذا الشرك بغير
خسارة . وربما كان كذلك . خذى الفرس .

سته : انا لا اريدها . انا امن بها .

صلاح الدين : انت لا تهيني شيئاً انت يهمك هذا الموقف اكثر
من الفرس .

سته : ربما .



صلاح الدين: فقط لا تغطي بحسابك. اعلى ان ما تفتكرين به لا يمكنك تحقيقه.

سته: طبعاً لا. كيف استطيع ان اظن انك أصبحت تعباً وتريد التخلص من فرزك؟

صلاح الدين:انا من فرزي؟

سته: انا قادر كت اني سأربح اليوم الف دينار فقط ولا درهم اكثراً.

صلاح الدين: ولماذا؟

سته: انت تسأل بعد لانك تريد ان تخسر قصداً وعمداً. الا انت لا توصل بذلك الى مرغوب في لانه رغمما من ان لعباً كهذا غير مسلسلة الكافية. الم اربع منك دائماً اكثراً عندما كنت تعجبني؟ واي مرة لم تهبني مضاعفةً تعزية لي عندما كنت تعجبني؟

صلاح الدين: اذاً كنت تخسرين قصداً ايها الاخت الحبيبة؟ لان ذلك اكثراً يرجح لك.

سته: لربما اصبت ايها الاخ العزيز ومهما يكن الامر فان كرمك كان سبب عدم اتقاني للعب.

صلاح الدين: دعينا من هذا الكلام لكي لا ترك اللعب.

سته: وهو كذلك. وعليه شاهك. شاهك. فرزك.

صلاح الدين: حقيقة لم ارج هذه اللعبة التي صرعت فرزي ايضاً.

سته: هل كانت نجاته مكنته؟ ارجي ذلك!

صلاح الدين: لا لا. خذني الفرز. السعد لم يراقني معه فقط.
سته: فقط مع الفرز؟

صلاح الدين: ابعديه. هذا لا يهمني لان كل شيء محظى الان.
سته: ان اخي عليني جيداً ان اتصرف مع الفرز برفقة. (ترك الفرز في محله)

صلاح الدين: خذيه او اتركيه. انا لا املك غيره.
سته: ولماذا آخذه؟ شاهك. شاهك.

صلاح الدين: استمرئي.
سته: شاهك. شاهك. شاهك.

صلاح الدين: مات.
سته: لم يمت تماماً. فاذا وضعت الفرس في الوسط ومهما عملت فالكل على حد سوى.

صلاح الدين: اصبت! — انت انتصرت وعلى الحافظ ان يدفع...
دعوه يحضر حالاً. يا سته انت اصبت ان افكاراي لم تتحضر في اللعب تماماً. لانها كانت مشتبهه. ووو من يقدم لنا دائماً قطع الفرز الملمس؟ التي لا تذكرنا بشيء ولا تدل على شيء.
هل لعبت مع الامام؟ ولكن ما العمل؟ الخسارة تتحل
عندي. اما خسارتي فلم تتسبب عن الحجارة البسيطة يا سته
اما الفضل في ذلك فرجعه مهارتكم وبصركم الهدى الثاقب...
سته: هل ت يريد بهذا الكلام ان تحفف شدة الخسارة؟ كفى انت
كنت مشتبهت الافكار اكثراً مني.

صلاح الدين: اكثـر منكـ؟ ما الذي حملـكـ على تـشـتـيـتـ اـفـكارـكـ؟
ستهـ: ليس تـشـتـيـتـ اـفـكارـكـ: يا صـلاحـ الدـينـ ليـتـناـ نـعـودـ وـلـعـبـ
باـجـهـادـ!

صلاح الدين: وهـكـذاـ نـعـودـ إـلـىـ اللـعـبـ بـرـغـةـ اـعـظـمـ: آـهـ آـنـتـ تـعـنـيـنـ
انـ الـحـرـبـ سـتـدـورـ رـحـاـهـاـ مـنـ جـدـيدـ؟ـ رـبـماـ!ـ تـقـدـمـيـ!ـ آـنـاـمـ اـبـداـ
اوـلـاـ آـنـاـ كـنـتـ اـفـضـلـ تـمـدـيـدـ الـهـدـنـةـ مـنـ جـدـيدـ وـكـنـتـ اوـدـ آـنـ
اـدـبـ اـيـضاـ لـسـتـهـ رـجـلـاـ فـاضـلـاـ لـاـنـهـاـ تـخـصـنـيـ وـهـوـ يـحـبـ انـ
يـكـونـ اـخـاـ رـيـكـارـدـ.ـ هـوـ حـقاـ اـخـوـهـ.

ستهـ: آـنـتـ لاـ تـحـبـ الـامـرـ رـيـكـارـدـ!

صلاح الدين: لوـ حـظـيـ اـخـوـنـاـ مـالـكـ بـالـاقـترـانـ باـخـتـ رـيـكـارـدـ لـكـانـ
يـتـهـ مـنـ اـفـضـلـ وـاـكـرـمـ الـبـيـوتـ فيـ الـدـنـيـاـ باـسـرـهـ،ـ آـنـتـ تـسـمـعـنـ
اـنـ لـسـتـ كـسـلـانـاـ عـلـىـ مـدـحـ ذـاتـيـ وـاعـدـ نـفـسيـ اـهـلـاـ لـصـدـاقـةـ
اـصـدـقـائـيـ.ـ آـنـ زـوـاجـاـ كـهـدـاـ قـدـ يـنـتـجـ اـفـضـلـ النـاسـ!

ستهـ: مـاـ اـهـزـأـ فيـ حـيـنـهـ بـهـذـاـ حـلـمـ اـبـجـيلـ؟ـ آـنـتـ لاـ تـعـرـفـ حـقـيـقـةـ حـالـ
الـمـسـيـحـيـنـ وـلـاـ تـرـيـدـ انـ تـعـرـفـ ذـلـكـ...ـ اـنـهـ يـتـاهـونـ بـكـوـنـهـمـ
مـسـيـحـيـنـ وـلـيـسـ بـاـنـسـانـيـهـمـ وـهـمـ يـجـبـذـبـونـ الـخـرـافـاتـ الـدـيـنـيـةـ الـمـطـلـيـةـ
بـظـواـهـرـ الـإـنـسـانـيـةـ مـنـذـ قـيـامـ مـؤـسـسـ مـذـهـبـهـمـ وـهـمـ لـاـ يـجـبـونـ
الـإـنـسـانـيـةـ لـكـوـنـهـاـ اـنـسـانـيـةـ بـلـ لـاـنـ مـسـيـحـ عـلـىـهـاـ وـمـارـسـهـاـ.
طـوـبـاـهـمـ لـاـنـهـ كـانـ اـنـسـانـاـ صـالـحاـ وـطـوـبـاـهـمـ لـاـنـهـمـ يـؤـمـنـونـ بـصـدـقـةـ
فـضـائـلـهـ وـبـاـنـهاـ حـقـةـ وـلـكـنـ مـاـ هـيـ الـفـضـيـلـةـ؟ـ هـمـ لـاـ يـرـوـمـونـ نـشـرـ

فضـائـلـهـ بـلـ نـشـرـ اـسـمـهـ فـيـ كـلـ مـكـانـ لـكـيـ يـفـوقـ اـسـمـاءـ جـمـيعـ النـاسـ
الـاـفـاضـلـ وـيـذـيـعـ عـوـضـاـعـهـ وـهـمـ يـهـتـمـونـ فـقـطـ بـالـصـيـطـ وـالـشـهـرـةـ.

صلاح الدين: آـنـتـ تـعـنـيـنـ مـاـذـاـ يـطـلـبـونـ آـنـ تـدـعـيـاـ آـنـ وـمـالـكـ
مـسـيـحـيـنـ قـبـلـ آـنـ تـحـبـ مـسـيـحـ كـرـوـجيـنـ?

ستهـ: نـعـمـ.ـ وـكـانـهـ لـاـ يـمـكـنـ آـنـ تـكـوـنـ الـحـبـةـ الـتـيـ وـضـعـهـ الـحـالـقـ فـيـ قـلـبيـ
الـرـجـلـ وـالـمـرأـةـ الـاـيـنـ مـسـيـحـيـنـ وـكـمـسـيـحـيـنـ!

صلاح الدين: انـ مـسـيـحـيـنـ يـؤـمـنـونـ بـخـعـبـلـاتـ كـثـيرـةـ فـكـيـفـ لـاـ
يـعـتـنـدـوـنـ بـهـذـهـ الـاـمـرـ اـيـضاـ.ـ وـفـوـقـ هـذـاـ فـانـتـ غـلـطـتـ.
انـ فـرـسـانـ الـهـيـكـلـ مـخـطـئـونـ وـلـيـسـ مـسـيـحـيـونـ وـلـاـ حـقـ عـلـيـهـمـ
مـسـيـحـيـنـ بـلـ كـفـرـسـانـ وـهـمـ فـقـطـ الـعـقـبـةـ الـكـوـوـدـ الـتـيـ تـعـتـرـضـ
الـقـضـيـةـ.ـ هـمـ لـاـ يـرـيـدـوـنـ آـنـ يـتـاـزـلـوـاـعـنـ عـكـاـ الـتـيـ اـرـادـتـ اـخـتـ
رـيـكـارـدـ آـنـ تـقـدـمـهـاـ إـلـىـ اـخـيـنـاـ مـالـكـ بـائـتـةـ(١)ـ وـلـكـيـ لـاـ تـعـرـضـ
مـصـاحـ الـفـارـسـ إـلـىـ الـخـطـرـ تـظـاهـرـوـاـ بـالـرـهـبـةـ وـبـسـدـاجـهـاـ وـمـعـ
انـ الـحـصـولـ عـلـىـ نـتـيـجـةـ حـاسـمـةـ كـانـ مـكـنـاـ بـسـرـعـةـ تـضـارـعـ سـرـعـةـ
الـبـرـقـ لـمـ يـسـتـطـيـعـوـاـ اـلـاتـظـارـ لـيـرـوـاـ نـهـاـيـةـ الـهـدـنـةـ.ـ عـجـباـ اـسـتـمـرـوـاـ
عـلـىـ هـذـاـ الـمـنـوـالـ اـلـيـاهـ السـادـةـ اـسـتـمـرـوـاـ.ـ آـنـ هـذـاـ يـوـافـقـيـ يـاـ لـيـتـ
كـلـ شـيـءـ يـمـ كـاـ يـحـبـ اـنـ يـكـونـ.

ستهـ: وـمـاـ الـذـيـ حـيـرـكـ اـذـاـ؟ـ وـمـاـ الـذـيـ يـزـعـجـكـ?

(١) هـدـيـةـ الـعـرـسـ.

صلاح الدين: كل ما كان يزعجني حتى الان اتي كنت في لبنان عند والدنا وهو لا يزال تحت تأثير المهموم ...
سته: واحسرتاه!

صلاح الدين: هو لا يقدر ان يمر . الطرق مسدودة في كل مكان والخلل ظاهر في جهات مختلفة.

سته: ما العائق؟ ما المانع؟

صلاح الدين: ما لا يستحق الذكر . الشي الذي اذا حصلت عليه اكون في غنى عنه واذا لم يكن في حوزتي يظهر لي اني لا استطيع البقاء بدونه . اين يقيم الحافظ يا ترى؟ المذهب احد للتقبيل عنه؟ تبا للمال المقوّت المنحوس ... اهلاً وسهلاً بقدومك ايها الحافظ.

الم النظر الثاني

(الدرويش الحافظ . صلاح الدين . ستة)

الحافظ: يظهر ان المال وصل من مصر . عسى ان تكون كميته كبيرة.

صلاح الدين: هل وصلتك اخبار ذلك؟

الحافظ: انا؟ لم تصليني . انا اظن انه علي ان استلم المال هنا.

صلاح الدين: ادفع لسته الف دينار . ثم يسير ذهاباً واياماً غارقاً في الافكار

الحافظ: ادفع بدلاً من استلم . نعم الصنبع! ان هذا حقاً اقل

من لا شيء . ادفع لسته؟ لمرة الثانية لسته؟ هل خسر اللعبة؟
هل خسر لمرة الثانية في لعب الشطرنج؟ ها هي رقعة الشطرنج
سته: انت تغبطني على طالعي السعيد؟

الحافظ: (يتأمل اللعبة) أبغض - ماذا؟ متى - انت تعليمي حق العلم .
سته: (تشير اليه قائلة) اسكت ايهما الحافظ .

الحافظ: (لا يزال مصوّباً نظرة نحو اللعبة) اغبطةوا اولاً لانفسكم .
سته: اسكت ايهما الحافظ .

الحافظ: (يغطّي سنه) هل الحجارة البيضاء لك؟ انت تعرضين شاهك
سته: لحسن الحظ هو لم يسمع شيئاً . (تفى اخاهما صلاح الدين)

الحافظ: الان دوره؟ (اي دور صلاح الدين باللعب)
سته: (تقدّم منه وتقول) قل اني ساحصل على دراهمي
الحافظ: (لا يزال مصوّباً نظرة كله الى اللعب) ستحصلين على دراهمك كما كنت تحصلين دائماً عليها .

سته: ماذا تقول؟ هل خوطبت في عقلك؟

الحافظ: لم تنته اللعبة بعد . اما انت يا صلاح الدين فلم تخسر اللعبة .

صلاح الدين: (لا يكترث بما حوله) بلى بلى ادفع ! ادفع !

الحافظ: ادفع ! ادفع انظرها هو فرزك .

صلاح الدين: (يزال كاسان) هذا لا يُقبل . هو خارج عن دائرة اللعب

سته: (تغطّي الحافظ) اسرع وتكلم حتى استطيع ان احصل على الدرارم

الحافظ: (لا يزال منهكًا بعد في اللعب) طبعاً كالمعتاد حتى ولو ماتت الملكة
(الفرز) لا تكون قد غلبت

صلاح الدين: (يقدم ويقلب مائدة اللعب) أنا غلبت واريد أن أعد
مغلوبًا.

الحافظ: الأمر مفهوم لدى! اللعب والكسب سيات لديك فالدفع
عندك يتلو الربح حالاً.

صلاح الدين: (يُخاطب سته) ماذا يقول؟ ماذا؟
سته: (تشير من وقت إلى آخر إلى الحافظ) أنت تعرفه هو يحب المقاومة
ويحب أن يأتي إليه الناس متلبسين وهو لا يخلو من الحسد،
صلاح الدين: لكن لا أحسدك؟ هل أحسد أخي؟ ما هذا الذي
اسمعه إليها الحافظ؟ أي خامرك الحسد؟ أنت؟

الحافظ: ربما كان الأمر كذلك ربما. يا ليت دماغها دماغي ويا ليتني
حسن الطوية مثلما.

سته: حتى لليوم كان دوماً يدفع ما يطلب إليه دفعه بال تماماً. واليوم
سيدفع أيضاً. دعه وشأنه انطلق إليها الحافظ انطلق أنا سأرسل
من يستلم المال.

الحافظ: أنا لا استمر متصنعاً. لا بد له من أن يطلع على ذلك مرة ما.
صلاح الدين: من؟ ماذا؟

سته: إليها الحافظ. هل هذا وعدك؟ هكذا تبرّ لي بقولك؟
الحافظ: هل خطر على بالي أن الحال ستصل إلى ما هي عليه الان؟

صلاح الدين: والآن؟ لا استطيع أن أعلم شيئاً؟
سته: أرجو منك إليها الحافظ أن تكون قوياً.

صلاح الدين: يا للعجب! كيف تفضل سته الطلب بحرارة ورغبة
وسرور إلى شخص غريب دروיש على طلبه ذلك إلى أنا أخوها?
إيها الحافظ أنا آمرك الان - تكلم إيه الدرويش!

سته: أخي لا تدع الصغار تستولي على نفسيتك أكثر مما تسبح في.
أنت تعلم انتي كسبت منك عدة مرات كميات متعادلة من لعب
الشطرنج. أنا ما أخذت المبالغ التي لي لانتي الان لست بحاجة
إلى دراهم ولأن خزانة الحافظ خاوية الان. لهذا توقفت الدفعات.
لكن لا تهم أبداً لأنني لا أهدىها إليك يا أخي ولا إلى الحافظ
ولا إلى الخزانة.

الحافظ: يا ليت هذا هو الأمر كلـه.

سته: لدى أكثر من هذا النوع. لقد بي أيضًا في الخزانة ما قدمته
لي مرةً ما ولقد توقف دفعه منذ عدة أشهر.

الحافظ: وهذا أيضًا ليس كل شيء.

صلاح الدين: لم يذكر كل شيء بعد؟ هل ت يريد أن تتكلم؟
الحافظ: منذ انتظارنا الدرافع من مصر وهي ...

سته: (يُخاطب صلاح الدين) لماذا تصغي إلى كلامه؟

الحافظ: لم يقتصر الأمر على عدم حصولها على شيء ...

صلاح الدين: ايتها البنت الطيبة القلب .— وعلاوة على ذلك كنت سلفين ايضاً دراهم اليه الامر كذلك ؟

الحافظ: هي قامت بكل نفقات البلاط ودفعت وحدها خرجالك كله .

صلاح الدين: هذه شقيقتي (ثم ضمها الى صدره)

سته: من كان باستطاعته ان يجعلني هكذا مثيرة غيرك ايها الاخ ؟
الحافظ: وهو سيجعلها فقيرة فقرآ مدقعاً مثله .

صلاح الدين: انا فقير ؟ اخوها فقير ؟ متى كنت املك اكثر ومتى اقل ؟ ثوب واحد وسيف واحد وجواود واحد والله واحد وماذا يعوزني بعد اكثراً ؟ ومتى اكون بحاجة الى هذا ؟ ومع ذلك يمكنني ان اعنفك .

سته: لا تعنف يا اخي . ليتني استطيع تخفيف هموم والدنا على هذا المنوال ايضاً .

صلاح الدين: واحسرتاه واحسرتاه قد هدمت افراحني بصفقة واحدة . انا لا ينقصني شيء ولا يمكن ان ينقصني شيء . اما هو فينقصه شيء وبسيطه ينقصنا نحن جميعاً . — قولي لي ماذا يجب علي عمله ؟ وربما لا يحضر شيء من مصر قبل مضي مدة طويلة والله وحده يعلم سبب ذلك . الا ان الامن لا يزال مستبداً هنا . — انا اريد ان اقلل نفقاتي وان اجمع مالي وان اقتصر عز طيب نفس ابني افضل ذلك عن طيب خاطر ما دام منوطاً بي وبي فقط . دون ان يتسبب عن ذلك اذى

ل احد غيري ولكن ماذا يتأنى عن هذا ؟ يجب ان يكون لدى جواد وثوب وسيف اما المهي فلا يمكن ان يعوض بشيء اخر . هو يكتفى تماماً بالقليل . ذلك القليل هو قلبي . — ايها الحافظ كنت متتكلماً كثيراً على الاحتياطي الذي في خزاناتك .
الحافظ: الاحتياطي ؟ قل بذاتك اما كنت اركبتي على خازونك وعلى اقل تقدير اما كنت خنقتي لو قبضت على ولدي المال الاحتياطي .
اجل ان الاختلاس يكون اسلم عاقبة .

صلاح الدين: والان ما العمل ؟ الا تستطيع ان تفترض مالاً الا من سته ؟

سته: ايها الشقيق هل اتنازل له عن هذا الحق الذي حصلت عليه ؟
انا لا ازال متمسكة به والان انا لم اصبح صفر اليدين .
صلاح الدين: ليس بالكلية ! ايها الحافظ ان هذا يزيد الطين بلة . انطلق حالاً واستعد واقترض ايها تقدر على ذلك وبحسب فهمك .
عني بهذا ! — لكن لا تفترض ايها الحافظ من الذين أغنتهم انا . لأن القرض من هؤلاء يمكن ان يعني استرجاع الهمة .
اذهب الى اشباح الناس هم يفرضونني عن طيبة نفس لاتهم يعلمون حق العلم ان اموالهم ترابي لهم بين يدي على احسن منوال .
الحافظ: انا لا اعرف احداً منهم .

سته: ايها الحافظ الان تذكرت اني سمعت ان صديقك رجع .

الحافظ: (يدهى) صديقي ؟ صديقي ؟ من هو هذا ؟

سته : يهوديك المغبوط .

الحافظ : اليهودي المغبوط ؟ المغبوط مني ؟

سته : انا ما زلت اتذكر العبارة التي استعملتها انت بنفسك عنه « الذي افاض الله عليه ذخائر هذه الدنيا صغیرها وكبیرها » .

الحافظ : انا قلت هذا ؟ ماذَا عنيت بذلك ؟

سته : انت عنيت بصغریها الغی و بکبیرها الحکمة .

الحافظ : ماذَا تقولين ؟ انا قلت هذا عن رجل يهودي ؟

سته : اما قلت هذا عن صدیقك ناثان ؟

الحافظ : حقاً عن هذا ! عن ناثان ! — انه لم يخطر على بالي . — حقاً ؟

هل رجع هذا الخيراً الى الوطن ؟ فعلاً لا اظن انه لا يوافق —

هذه هي الحقيقة بعينها . ان الشعب كان يدعوه الحکيم والغی .

سته : الشعب يدعوه الان الغی اکثر من كل آن سابق . وكل المدينة

تردد اعجابها بمقتنیاته الغالية المثمن وبكنوزه التي جلبها معه .

الحافظ : وهو يدعى الان من جدید الغی وسيدعى من جدید الحکيم ايضاً .

سته : ما قولك ايها الحافظ لو طرقت بايه ؟

الحافظ : وماذا اعمل عنده ؟ — اتعين ان افترض منه ؟ صدقآ انت

لا تعرفينه . — هو يفترض — ان حكمته تعني انه لا يفترض احداً .

سته : لكنك صورته لي تصویراً يخالف اعتقادی فيه .

الحافظ : يكاد لا يفترضكم بضاعة . ولكن دراهم ؟ لن يفترض دراهم

ابداً . هو طبعاً يهودي وليس ككثيرين من اليهود . هو يمتاز بالفهم ويعرف كيف يعيش . وهو ماهر بلعب الشطرنج ولكنه امتاز عن كافة اليهود ليس فقط بما هو رديء بل بما هو صالح ايضاً . — لا تأملوا من هذا لا تأملوا . — هو يعطي الفقراء وربما كثيراً كصلاح الدين ولو لم يكن بذات الكمية تماماً لكنه يعطي وبذات الرغبة وبغير محاباة . الكل عنده سواء اليهودي والمسيحي والمسلم والجمعي :

سته : ورجل كهذا . . .

صلاح الدين : لماذا لم اسع قبلـاً قط عن هذا الرجل ؟ . . .

سته : هذا لا يقرض صلاح الدين ؟ صلاح الدين الذي يريد ان يساعد غيره ولا يريد شيئاً لنفسه ؟

الحافظ : هنا يتمثل لكم حالـاً اليهودي ثانية . اليهودي السافل بكل معنى الكلمة . — صدقوني . — هو يغار من قرضكم ويحسدكم ايضاً . كل مكافأة من الله تقال في هذا العالم يفضل الحصول عليها وحده . وهذا السبب لا يقرض ابداً لكي يمكنه ان يعطي دائماً . وبما ان الحنان فرض ناموسـي عليه . اما المعروف فلا يعد فرضاً ناموسـياً اصبح بسبب الحنان اقل الناس معروفاً في الدنيا . نعم اختلفت معه منذ مدة طويلة ولكن لا تظنو اتي لهذا السبب لا اريد ان انصفه . انه صالح لكل شيء ولكن حقاً ليس من اهل المعروف . انا اريد ان انطق حالـاً قارعاً ابواب مراحـم

آخرى ... وفي هذه اللحظة اتذكر عبداً غنياً وبخيلاءً . — أنا
أنا الطلاق . أنا الطلاق ...
سته : أيها الحافظ لماذا تزيد الذهاب عاجلاً ؟
صلاح الدين : دعوه . دعوه .

المنظر الثالث

(سته ، صلاح الدين .)

سته : هو يسير مسرعاً كأنه يريد أن يتخلص مني . ما هو المقصود
من سيره هذا ؟ هل هو مخدوع فيه أم يريد أن يخدعنا ؟
صلاح الدين : ماذا تقولين ؟ أنت تسأليني هذا ؟ قلماً أعرف غير
الكلام واليوم اسمع لأول مرة عن يهوديك عن ناثانكم .
سته : هل من الممكن أن ييقن رجل يقال عنه انه فحص قبرى سليمان
وداود ويستطيع بكلمة خفية عظيمة ان يحلّ ختميهما بمحولاً
لديك هكذا ؟ وبين وقت وآخر يخرج منها الكنوز التي ليس
لها قرار لأن معها نوع لا يغيبض .

صلاح الدين : اذا كان قد حصل هذا الرجل ثروته من القبور فلم يكن
هذا القبران قبرى داود وسلمان لكنهما قبراً اناس اغنياء .
سته : او اوغاد . اما مصدر ثروته فاعظم كثيراً من قبر ملوك مالاً
لأنه لا ينضب ابداً .

صلاح الدين : لانه يتعاطى التجارة كما بلغني .
سته : ان دابته تسير على جميع الطرق وفي جميع البراري وسفنه راسية
في كافة المرافئ والمحافظ قال لي هذا سابقاً واضاف الى ذلك
بصوت ملؤه البهجة ان صاحبه هذا ينفق عن سعة وكثيل ما
جتمعه بمهارة واجتهد ولا يحترق الامور منها كانت صغيرة في
سبيل جمع ذلك وان افكاره خالية من اصدار احكام بديهية غير
منزهه وقلبه مفتوح لقبول كل فضيلة وهو يدرك كنه كل
جمال .

صلاح الدين : والآن تكلم عنه الحافظ بدون ثقة به ويكل فتور .
سته : لم يكن فاتراً ولكن مرتباً ويظهر انه يعد مدحه خطراً ولكنه
لا يريد ان يذم بلا سبب . — كيف ؟ هل هذه هي الحقيقة ؟
افضل قومه لا يقدر ان يتصل من قومه تماماً ؟ وبالنظر الى
هذا يجب على الحافظ ان يخجل بصاحبه ؟ ليكن له كما يشاء
واليهودي كائناً من كان فان امره لا يهمنا وفي غناه كفاية لنا الان .

صلاح الدين : انت لا تريدين ان تتعصبى ماله بالقوة ايها الشقيقة ؟
سته : اجل وماذا تعنى بكلمة قوة ؟ النار والسيف ؟ ادخل معى الحرم
لكي تسمع قينة ابنته امس وربما نضجت عندي اثناء ذلك
فكرة بخصوص ناثان . — تعال .

المنظر الرابع

(الشاهد: امام بيت ناثان بالقرب من شجر النخيل.)

(ريحانة وناثان يخرجان وداية تذهب اليها.)

ريحانة: قد تأخرت كثيراً يا ابناه. لا اظن اننا نجده بعد.

ناثان: واذا لم نزه تحت شجر النخيل فسنجدوه في غير محل. — والآن
اخلي الى السكينة فقط انظري هنا لك ليست داية آتية اليانا؟

ريحانة: يقيناً لقد ضلت عنه.

ناثان: وقد لا تكون!

ريحانة: والا كانت حضرت اسرع.

ناثان: يظهر انها لم ترنا حتى الان...

ريحانة: لكنها الان ترانا.

ناثان: انظري هي توسع خطواتها. لا تبدي حراً كاكاً! كوني هادئة.

ريحانة: تريد ابنة تخلد هنا الى السكينة؟ وان لا تبالي ابداً بفضل من
حياتها من فضله . حياتها. — الحياة التي تحبها فقط لانك انت
علة وجودها.

ناثان: حتى ولو كنت اعلم ان امراً يهيج في نفسه.

ريحانة: ماذا تعني يا ابناه؟

ناثان: التسأليني؟ بكل سذاجة تسأليني؟ ان ما يخالج فؤاذك طبعي
وهو طهارة لا تهسي ابداً. انا لا اهتم ابداً. عديني فقط انك
متى اطلعت على سؤل قلبك لا تخفين عن شيء من مشترياته.

ريحانة: ان امكان ستر خفایا قلبي عنك يجعلني ارتعش.

ناثان: كفانا التحدث عن هذا الامر. لقد قضي الامر تماماً. ها نحن
نرى داية. — والآن ما العمل؟

داية: انه ما زال يسير تحت النخيل وعما قريب يأتي من وراء ذلك
الحائط. — انظر لها هو آت.

ريحانة: آه ويظهر انه متعدد الى اية جهة يسير. الى الامام ام الى
اسفل. أ الى اليمين ام اليسار؟

داية: لا لا من المؤكد انه سيسير بعد عدة مرات حول الدير ثم
يجب ان يمر من هنا. — ماذا حدث؟

ريحانة: اصبت! اصبت! هل تكلمت معه؟ وكيف هو اليوم؟

داية: كالعادة.

ناثان: عليك ان لا تدعاه يراكم هنا. ارجعا اكثرا الى الوراء والافضل
ان تدخلوا الى داخل.

ريحانة: ليتني انظرة نظرة واحدة بعد: او اوه ان السياج يتجه عن نظري.

داية: تعالى تعالى. لقد اصاب الوالد تماماً لانه متى شاهدك يقف
راجعاً فوراً وهكذا تعرضين الحالة الى الخطر.

ريحانة: او اوه من هذا السياج!

ناثان: واذا خرج هناك بفتحة من السياج لا بد ان يراكم اذا انطلقا.

داية: تعالى! تعالى! اني اعرف نافذة نقدر ان نشاهد هما منها.

ريحانة: نعم؟ (تدخلان)

المنظر الخامس

(ناثان وبعده بقليل الفارس الميكلي .)

ناثان: أصبحت تقريرياً اعاف هذا الغريب الطبع وحصانته الجافة تجعلني أشمئز . عجباً كيف يستطيع الانسان ان يلقي اخاه الانسان بحيرة كهذه . ها هو آت — بالله ! شاب ولكن كالرجل انا مغمم كثيراً بنظرته الجميلة القاهره وبسيره المرح . وان كانت الظواهر خشنـة فالباطـن ولا شك ليس كذلك . — اين رأيت له نظيراً ؟ العفو ايها الافرنجي الشريف .

الفارس: ماذا تقول ؟

ناثان: استاذك .

الفارس: ماذا تقول ايها اليهودي ؟ ماذا تقول ؟

ناثان: ألي ان اتجاسـر وآخـاطـلك .

الفارس: هل آذن بذلك ؟ اجل ولكن بعبارة موـجزـة .

ناثان: لا تصد ولا تمـرـ مـسـرعاً بـرـجـلـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـكـبـرـيـاـ ولا تـحـقـرـ

ذلكـ الرـجـلـ الـذـيـ قـيـدـهـ بـفـضـلـكـ إـلـىـ الـاـبـدـ .

الفارس: كيف هذا ؟ في استطاعتي معرفة ذلك تقريرياً أليس كذلك ؟

انت ...

ناثان: انا ادعـيـ نـاثـانـ وـاـنـاـ وـالـدـ الـبـنـتـ الـتـيـ خـلـصـتـهاـ بشـهـامـتـكـ منـ

لـهـيبـ النـارـ وـقـدـ اـتـيـتـ ...

الفارس: اذا كان قد ووكـلـ لـاـجـلـ تقديمـ الشـكـرـ فـاقـلـعـ عنـ ذـلـكـ لـاتـيـ قدـ تـحـمـلـ كـثـيرـاـ منـ اـجـلـ هـذـاـ الشـكـرـ التـافـهـ . — وـعـلاـوةـ عـلـىـ ذـلـكـ اـتـمـ لـسـتـاـ مـدـيـنـيـنـ لـيـ بـشـيءـ . هلـ كـنـتـ اـعـلـمـ اـنـ هـذـهـ الـبـنـتـ بـنـتـكـ ؟ اـنـ مـنـ وـاجـبـاتـ الـفـرـسـانـ الـهـيـكـلـيـنـ اـنـ يـسـرـعـوـاـ حـالـاـ وـيـخـلـصـوـاـ كـلـ مـنـ يـرـونـهـ فـيـ ضـيقـ وـاـنـ لـاـ يـتـرـدـدـوـاـ فـيـ ذـلـكـ . اـنـ حـيـاتـيـ كـانـتـ عـالـةـ عـلـيـ فـيـ هـذـهـ الـلـحـظـةـ وـقـدـ اـغـتـمـتـ الـفـرـصـةـ السـانـحةـ عـنـ طـيـبـ نـفـسـ لـاـقـدـمـهـ فـيـ دـيـةـ عـنـ حـيـاةـ أـخـرـىـ حـتـىـ وـلـوـ كـانـتـ حـيـاةـ مـخـلـوقـةـ يـهـوـدـيـةـ .

نـاثـانـ: ماـ اـنـبـلـ وـماـ اـقـبـعـ ذـلـكـ !ـ وـاـنـيـ لـاـ فـهـمـ ذـلـكـ التـحـولـ . انـ الـبـالـةـ الـقـانـعـةـ تـحـتـمـيـ وـرـاءـ الـقـيـحـ لـكـيـ تـخـلـصـ مـنـ الـاعـجـابـ .ـ وـلـكـنـهاـ اـذـاـ اـحـتـقـرـتـ تـقـدـمـةـ الـاعـجـابـ فـايـ تـقـدـمـةـ لـاـ تـكـوـنـ فـيـ عـيـنـهـاـ اـكـثـرـ اـحـتـقـارـاـ ؟ـ اـيـهـاـ الـفـارـسـ لـوـ لـمـ تـكـرـ .ـ هـنـاـ اـسـيـراـ وـغـرـيـباـ لـاـ خـاطـبـتـكـ بـهـذـهـ الـجـرـأـةـ قـلـ وـأـمـرـ عـلـىـ اـيـ كـيـفـيـةـ يـكـنـيـ اـنـ اـقـدـمـ اـلـيـكـ خـدـمـةـ مـاـ ؟ـ

الفارس: اـنـتـ ؟ـ لـاـ شـيـءـ .

نـاثـانـ: اـنـاـ رـجـلـ غـيـرـ .

الفارس: لمـ يـكـنـ قـطـ يـهـوـدـيـ الـقـيـ فيـ عـيـنـيـ اـفـضـلـ اـبـنـاءـ جـنـسـهـ .

نـاثـانـ: اـلـاـ يـحـوزـ لـكـ هـذـاـ سـبـبـ اـنـ تـسـتـخـدـمـ مـاـ يـعـدـ حـسـنـاـ لـدـيـهـ ؟ـ اـلـاـ يـحـوزـ اـسـتـخـدـمـ ثـرـوـتـهـ .

الفارس: حـسـنـ اـنـاـ لـاـ اـرـيدـ اـنـ اـضـرـبـ بـهـذـاـ عـرـضـ الـحـائـطـ لـاـجـلـ

عبادي وسأرجع لاستقرض منك اما قساشاً او دراهم لصنع ثوب جديد عندما تبلي عبادي تماماً ولا يعود رقمها مكناً. لا تتظر نظرة كآبة انك لا تزال بامان ولم يصل الحال بعد الى هذه الدرجة انت ترى ان عبادي لا تزال بحالة جيدة. غير ان طرفاً واحداً عليه بقعة قبيحة لأنها تشيط عندما حملت ابنتك وسط النيران.

ناثان: (يسكب طرف الرداء ويتأمله) عجباً كيف ان بقعة قبيحة وعلامة حريق كهذه تستطيع ان تقدم للرجل شهادة افضل ما يستطيع تقديمها فهذا الخاص. انا اريد ان اقبلها حالاً — الرقة: — استميحك عفواً. — انا فعلت ذلك رغمَّ مني.

الفارس: ماذا؟

ناثان: دمعة سقطت عليها.

الفارس: لا بأس — بلتها دموع كثيرة غير هذه الدمعة غير ان هذا اليهودي سibilbel افكاري حتماً.

ناثان: هل تتلطف بارسال عبادتك مرة ما الى ابتي؟
الفارس: ولماذا؟

ناثان: لكي تقبل هذه البقعة بقها لأنها عبأ تحاول ضمك الى صدرها.
الفارس: ايها اليهودي انت تدعى ناثان؟ انت تنطق نطقاً جميلاً جداً ولكن بتهمك كثير — انا استغرب ذلك وعلى كل حال —
كان يجب عليَّ ...

ناثان: سيان عندي ان تصرفت تصراضاً او ظهرت بخلاف ما انت عليه حقيقة. لاني استطيع ان افهم نوایاك. فقد كنت كريماً وزهرياً للغاية لتزيد ادباً. لقد حافظت على سمعة ابنة كلها عواطف. فعندما كانت ريحانة مستعدة لكل خدمة وعندما كان ابوها متغرياً حافظت على سمعتها الجيدة وابتعدت عن تجربتها. هربت لكني لا تتصر عليها ولذلك اتقدم اليك شاكراً الفارس: علىَّ ان اعترف انك تعلم كيف يجب ان تكون عقلية الفرسان الميكيلين.

ناثان: اهذا واجب الفرسان الميكيلين فقط؟ ويكون واجبهم لان قوانين الطغمة تتطلب ذلك؟ انا اعلم كيف تكون عقلية الناس الافضل واعلم ان كل البلدان تحتوي على اناس حسني السريرة الفارس: عسى ان يكون الفرق بينهم يتنا.

ناثان: نعم باختلاف لون البشرة واللباس والقامات.

الفارس: والاختلاف يظهر ايضاً بالكلية نظراً لاختلاف الاماكن.
ناثان: ان هذا الفرق ليس بينا فالرجل العظيم يحتاج في كل مكان الى ارض واسعة الارجاء ومتى ازدحم الناس في بقعة ما لكثره عددهم يكتظ بهم الزحام اما متوسطو الحال مثلنا فيوجدون في كل مكان بكثرة الا انه لا يجوز ان يتقد احدهم الاخر ويجب على المتجرف ان يتحمل المتجرف منه وعلى الرفيع القدر ان لا يعتد بذاته حاسباً نفسه ارفع مقاماً من الجبلة البشرية.

الفارس: حسناً تكلمت! ولكن هل تعرف الشعب الذي ابتدأ يعتقد عيوب الناس اولاً؟ اتعلم يا ناثان اي شعب دعا نفسه قبل كل الشعوب الشعب المختار؟ ماذا تقول؟ ومع اني لا احترم هذا الشعب لا اقدر ان اكف نفسي عن احتقاره لاجل تشاخمه الموروث على المسيحي والمسلم لانه يعتقد ان الله فقط هو الاله الحقيقي. انت تعجب لاني كسيحي وكفارس هيكلني اتكلم هكذا؟ قل لي متى وain ظهر التعصب الديني باقبح مظاهره وبصورة اعظم مما ظهر هنا وفي هذا الوقت؟ اي الادعاء بجيازة افضل الله وحمل كل العالم عنوة على قبول هذا الاله الافضل. ومن ذا الذي لم يقع الغشاء عن عينيه هنا والان... ومع ذلك فليقي ضريراً كل من اراد ذلك! انس ما قلته لك ودعني وشأنني (هنا يريد الذهاب)

ناثان: آه انت لا تعلم اتي سألتني اليك اكثر كثيراً ما هو الان - هلم يحب علينا نعم يحب علينا ان تصاحب! - احترم شعبي بقدر ما تريده. كل منا كان مسيراً باختيار شعبه هل كل واحد منا هو شعبه؟ ماذا تعني الكلمة شعب؟ هل يحق للسيحي ولليهودي ان يكون كل منهما مسيحياً او يهودياً اكثر من كونهما بشراً؟ يا ليني وجدت بينكم واحداً فقط يقنع ان يكون انساناً.

الفارس: بالله يا ناثان انت حائز هذا. نعم انت حائز عليه اعطي

يدك - اني اخجل من نفسي لاني اسأت الظن فيك لحظة واحدة.

ناثان: اني نفور بذلك والدناهه فقط هي التي قلما يسيء الناس بها الظن الفارس: والنادر نسيانه اصعب. - نعم يا ناثان يجب علينا ان نصبح صديقين.

ناثان: قد اصبحنا كذلك . وقد تسر ريحاتي بذلك كثيراً. - آه يا الله من مستقبل ببيج يتراهى لي . - فقط تعرف اولاً اليها .
الفارس: اني اذوب شوقاً . - من ذا الذي يخرج مسرعاً من منزلك؟
الليست دايتها?

ناثان: اجل وبخوف عظيم .
الفارس: عسى انه لم يحدث شيء لريحانتنا .

المنظر السادس

(المار ذكرهم وداية يسرعون)

داية: يا ناثان! يا ناثان!

ناثان: والان اي امر يذعرك؟

داية: عفواً ايها الفارس النبيل لاتي قطعت عليك الحديث

ناثان: ما الذي جرى الان؟

الفارس: ماذا جرى؟

الفارس : أجل ان هذا كما تقول . لأن حياتي منحته الخاصة .
ناثان : وبها صناعف حياتي ضعفين بل ثلاثة اضعاف وهذا غير كل شيء يبتنا وقيدني بحبل في خدمته ابداً ... لا اعلم ما سيأمرني به اولاً . انا مستعد لكل شيء ومستعد ان اعترف امامه اني على ما انا عليه اكراماً لخاطرك .

الفارس : لم اتمكن من تقديم الشكر له كلاماً كنت امر به في الطريق .
ان تأثيري على مخيلته ادى بسرعة واضحل سريعاً ومن يعلم اذا كان يتذكّرني بعد ومع هذا يجب عليه ان يتذكّرني على اقل تعديل مرّة بعد لكي يفصل في امرني نهائياً لا يكفي اني ما زلت بعد حياً بناء على امره وبناء على ارادته لا ازال حياً ارزق . علي ان انتظر منه اعلامي عن يحب علي ان اتخذه لي مثلاً في معيشتي .
ناثان : هذه هي الحقيقة بعينها ولهذا لا اريد ان اتواني ورب كلبة تقال تكون باعثاً يحملني على الكلام عنك . — استاذك وارجو عفوك — علي ان اسرع — ولكن متى ياترى متى نشاهدك عندنا ؟
الفارس : عند اول فرصة تمكنني من ذلك .

ناثان : ساعة تريده .

الفارس : اليوم .

ناثان : اسمح لي ان استعلم عن اسمك .

الفارس : كنت ادعى — انا ادعى كورد فن شوفن — كورد .

ناثان : فن شوفن ؟ — شوفن ؟ شوفن ؟

داية : السلطان ارسل يستدعيك . السلطان يريد مخاطبتك . يا رباه السلطان !

ناثان : اي اي ؟ السلطان ؟ هو يتوق ليري البصائر الجديدة التي جلبتها معه . قوله له انا لم نفتح الا القليل من الحرم وربما لا شيء غير هذا .

داية : لا لا . هو لا يريد ان يرى شيئاً . هو يريد مخاطبتك بالذات وباسرع ما يمكنك .

ناثان : انا ساحضر . — انطلق فقط انطلق !
داية : لا تتكلّر ايهما الفارس العظيم . — يارباه نحن مهتمون كثيراً لعلم ماذا يروم السلطان .

ناثان : هذا ما سنعرفه ! انطلق !

المنظر السابع

(ناثان والفارس الهلكي)

الفارس : لم تعرف اليه بعد ؟ انا اعني معرفة شخصية .

ناثان : صلاح الدين ؟ حتى الار لا ، اني لم اتجبه ولم اقتله للاعراف اليه . ان سيرته كانت حسنة جداً حتى اني لم افضل تصديق ذلك على المشاهدة . الا انه ولو كان الامر على خلاف ذلك فابقاوه على حياتك ...

الفارس : لماذا اثار هذا استغرابك ؟

ناثان : فون شوفن ؟ — كثيرون ينتمون الى هذا النسب ...

الفارس : نعم هنا اقام وهنا دُفن عدد من ذوي هذا النسب . خالي نفسه — لا بل اي — ولكن لماذا تفترس في هكذا شديداً ؟

ناثان : لا سبب لذلك لا سبب ولكن كيف استطاع ان اتعب من مشاهدتك .

الفارس : لهذا اتركك اولاً . ان عين البحاثة لم تجد اكثراً ما كانت تؤمل وجوده . يا ناثان انا اهابه . دع الايام تكون صداقتنا وليس حب معرفة الجديد . (يخرج)

ناثان : (ينظر اليه بدهول) لم يقدّر للبحاثة ان يجد بسهولة اكثراً ما كان يؤمل ان يجد — وكان كمن يستطع افكاره . — حقاً ولربما حدث لي مثل هذا ايضاً . — ليس فقط قامة وُلُف ومسيره بل ايضاً صوته وهكذا تماماً كان يحيي وُلُف رأسه ويحمل السيف بيده وليس بها حاجبيه لـ*كـي* يحيي توقد بصره — كيف يتمنى لنا نسيان صور متصلة في مخيلتنا الى ان تهضها كلمة واحدة وصوت واحد . — فن شوفن — هذا هو الصواب بعينه هذا هو الصواب . فلنـك وشوفن — اريد معرفة هذا تماماً باسرع ما يمكن . دعـنا نذهب اولاً الى صلاح الدين — ولكن ما هذا ؟ الا تستمع دایـه هناك ؟ اقتربـي الان اكـثر يا دـایـه .

النظر الثامن

داية . ناثان .

ناثان : على ماذا تراهنـين ؟ اني ارى قليـكـا يخـفـقـان لـكـي تـطـلـعـا عـلـى شيء اخر بعد هو غير ما يريد صلاح الدين ان يقوله لي .

داية : هل تعتـبـ على رـيحـانـةـ لـذـلـكـ ؟ قد شـرـعـتـ الان تـكـلمـ معـهـ باـكـثـرـ ثـقـةـ بـعـدـ ماـ اـقـصـانـاـ رسـوـلـ السـلـطـانـ عـنـ الشـبـاكـ .

ناثان : قـوليـ لهاـ الانـ انـهاـ تـقـدرـ انـ تـتـنـظـرـهـ فيـ كـلـ آـنـ .

داية : مؤـكـدـ ؟ مؤـكـدـ ؟

ناثان : اـناـ اـسـتـطـعـ الـاتـكـالـ عـلـيـكـ ياـ دـايـهـ ؟ اـرجـوـ منـكـ انـ تـكـوـنـ عـلـىـ حـذـرـ اـنـتـ لـاـ تـنـدـمـينـ وـضـيـرـكـ سـيـكـونـ مـرـتـاحـاـ . لـاـ تـشـوـهـيـ شـيـئـاـ مـنـ خـطـيـ تـكـلـيـ الـاـنـ وـسـلـيـ باـحـشـامـ وـتـحـفـظـ .

داية : عـجـباـ كـيـفـ تـذـكـرـ شـيـئـاـ كـهـذاـ بـعـدـ ؟ — اـنـاـ اـنـطـلـقـ وـمـاـ عـلـيـكـ اـنـ الاـ ذـهـابـ اـيـضاـ . اـنـظـرـ اـنـاـ اـعـتـقـدـ تـمـاماـ انـ رـسـوـلـ اـنـاـ قدـ حـضـرـ مـنـ قـبـلـ السـلـطـانـ وـهـوـ درـوـيـشـ الـحـافـظـ .

النظر التاسع

نـاثـانـ . الـحـافـظـ

الـحـافـظـ : آـهـ آـهـ اـنـاـ اـرـدـتـ الرـجـوعـ لـيـكـ ثـانـيـةـ .

نـاثـانـ : هـلـ الـاـمـرـ مـسـتـعـجلـ ؟ مـاـذـاـ يـرـيدـ مـنـ ؟

الحافظ : من ؟

ناثان : صلاح الدين . — أنا آت أنا آت .

الحافظ : إلى من ؟ إلى صلاح الدين ؟

ناثان : ألم يرسل صلاح الدين ؟

الحافظ : أنا ؟ لا . هل أرسل أحداً ؟

ناثان : أجل طبعاً قد أرسل .

الحافظ : إذاً حسناً فعل .

ناثان : أي شيء أي شيء حسن ؟

الحافظ : لأن ... الذنب ليس ذنبي . الله يعلم أن الذنب ليس ذنبي . —

أي شيء لم أفع به لاجلك ولقد كذبت لكى احوله عنك

ناثان : ماذا تقول ؟ لكى تحوله عني ؟ ما هي الحقيقة ؟

الحافظ : أي آسف لاجلك لأنك أصبحت دفترداره وأنا لا أريد

أن أرى ذلك بعئني . أنا انطلق الان حالاً . انطلق انت قد

سمعت الى اين وانت تعرف الطريق — قل اذا كان لديك طلب

يتعلق بالطريق فاني مستعد لخدمتك . طبعاً — يجب ان لا يكون

اكثر مما يقدر على عمله شخص عريان انا انطلق صرح بذلك

باقرب وقت .

ناثان : فكر فيها تقول ايها الحافظ واذكر انتي لا اعلم شيئاً بعد . ما

هذا الذي تتفوه به ؟

الحافظ : هل تحضر معك كيس الدرهم حالاً ؟

ناثان : كيس الدرهم ؟

الحافظ : الدرهم التي ستسلفها صلاح الدين .

ناثان : لا شيء غير هذا ؟

الحافظ : عليَّ ان اشاهد كيف يذمر مالك من يوم الى آخر حتى القلس
الأخير ؟ هل يجب ان اشاهد ان المذر لا يزال يستقرض
من مخازن اللطف والحكمة التي لا تتضيق بل يستقرض يفترض
الى ان يهلك اهل البلاد المساكين جوعاً ؟ — او هل تتصور
ان الذي يحتاج الى اموالك يذعن الى مشورتك ؟ نعم يذعن
للشورة ومتى كان يطلب صلاح الدين رأياً ؟ يا ناثان تمعن
بالذى جرى لنا معه قبل هنئه .

ناثان : وماذا جرى ؟

الحافظ : دخلت عليه اثناء لعبة الشطرنج مع اخته سته وهي تلعب
لعبة حسناً . اما اللعبة التي ظن صلاح الدين انه خسرها كانت
لا تزال بعد على مائدة الشطرنج . انا انظر اليك وارى انه لا
داعي يحمل على الفتن ان صلاح الدين سيختصر اللعبة .

ناثان : آه ... أنها لغنية باردة .

الحافظ : كان يجب ان يقترب بالشاه نحو البيدق ضد شاهها . — جداً
لو اتيح لي ان أريك ذلك فوراً .

ناثان : آه اني اثق بك .

الحافظ : لانه بهذه اللعبة يفتح الطريق للفيل وتكون قد خسرت —

اردت ان انبه الى هذا كله . — دعوته — ولكن تامل ...
 ناثان: هو مخالف لك في الرأي ؟
 الحافظ: هولم يصنع الي قط ورمى المائدة باحتقار فتعثرت قطع اللعب.
 ناثان: هل هذا يمكن ؟
 الحافظ: هو يقول انه يريد ان يُغلب مرة ما في لعب الشطرنج . هو يريد هذا . هل يعد هذا لعباً ؟

ناثان: قلما يعد لعباً . ان هذا يعد استهتاراً باللعب .

الحافظ: وبذات الوقت لم يكن اللعب لاجل شيء طفيف .
 ناثان: سيان عندي صرف الدرهم وتوفيرها . غير ان عدم الاصغاء اليك وعدم سماعك في امر مهم جداً وعدم الانتباه باعجاب الى نظرك الثاقب كل هذه الامور تطلب الاخذ بالثار . اليك الامر كذلك ؟
 الحافظ: ما هذا ؟ قلت لك هذا فقط لكي ترى عناده وبالاختصار لا يمكنني ان اقيم معه اكثراً . انا اتجهول الان بين كل العبيد والقذرين وأسأل من يريد ان يقرضه . هل افترض لآخرين انا الذي لم استطع قط لنفسي . ان القرضة ليست أفضل من الاستعظام كثيراً . كما ان القرضة بربما ليست افضل من السرقة كثيراً . وبين المجروس (١) الذين يعطوني على نهر الكنج لا احتاج الى القرضة ولا الى الربا ولست بحاجة ان اكون آلة ينهما . على

الكنج على الكنج فقط نجد الانسانية . انت الوحيد هنا الذي يستحق ان يعيش على الكنج . — هل تريد الذهب معي ؟ — تخل له بالكلية عن النفاية التي تهمه كثيراً لانه سينتزعها منك تدريجاً وهكذا ينتهي التعذيب بعنته . — انا سادر لك ثوب دروיש . تعال ... تعال ...
 ناثان: انا ظننت هذا يقى لنا . اعلم ايها الحافظ اني ساتروى بالامر .
 انتظر ...

الحافظ: تتروى ؟ حقاً ان امراً كهذا يحتاج الى تروي .
 ناثان: فقط الى ان ارجع من عند السلطان الى ان اودع ...
 الحافظ: من يتزوّد يفتش عن اسباب لكي يتملص . — ومن لا يقدر ان يتذمر امور معيشته سريعاً ويقطع النظر عن صروف الزمان يكن دوماً عبداً لغيره . — لك الخيار — الى اللقاء كما ترتئى . — تلك خططي وهذه خطتك .

ناثان: ايها الحافظ عليك ان تصحح خطتك بنفسك ؟
 الحافظ: ما لنا وللجون ان ما في خزاتي لا يستحق العدة . وانت او سته ستكتفلان لي بمحاسباتي . الى اللقاء . (ثم ينطلق)
 ناثان: (ينظر اليه) ساتكفل بها . — انت بربري لكنك حسن الطوية ونبييل — ماذا ادعوه ؟ ان المسؤول الحقيقي هو بنفسه الملك الحقيقي (ينطلق الى جهة اخرى)

ريحانة: ضللت .— إن الذي يجعل تمنياتك هو ما يعوقه عن ان يصبح خاصتي. ان وطنك يجعلك تتوقين اليه. الا يستطيع وطني ان يقيني فيه؟ هل رسم ذويك الذي لم تزُل تصوراته من خيالتك اكثراً تأثيراً من ذويَّ الذي اقدر ان اراهم والمسهم ؟ داية : قاويمى ما استطعت الى ذلك سيلما . السن السماوية ما تزال سماوية وما الذي تعملىه اذا كان منقذك بنفسه هو الذي على يده سيقودك الله الذي يحارب لاجله الى البلاد والى الشعب اللذين ولدت لها .

ريحانة: يا داية يا عزيزتي داية ما هذا الذي تعدين قوله؟ حقاً ان تصوراتك غريبة . الله الذي يحارب لاجله . الله ملك من هو؟ ما هذا الله الذي هو ملك انسان؟ والذى يجب ان يحارب لاجله؟ وكيف يستطيع الانسان ان يعرف الارض التي ولد لاجلها اذا كان لا يخصّ التي ولد عليها؟ ماذا كان يفعل بك والذى لو سمعك تصورين لي سعدي دوماً هكذا بعيداً عنه؟ ماذا فعل بك لأنك تخفين ان تمزجي بذور القسم التي بذرها نقية في نفسى بزو ان بلادك وازهارها؟ ايتها العزيزة داية هو لا يريد ان تكون ازهارك المختلفة الاولان على ارضى وعليَّ ان اقول لك اتي انا بنفسي اشعر ان ارضى مجده وقادحة بسبب ازهارك رغمما من اكسابها منظراً بهياً واسعراً اني فاقدة الحواس ومشيَّ عليَّ من عيدها الخائز الذي يشمني . ان دماغك معتمد عليها اكثراً مني . لذلك

الفصل الثالث

المنظر الاول

(المشهد : في بيت ناثان)

(ريحانة وداية)

ريحانة: يا داية ماذا قال والدي؟ هل اقدر ان انتظره في كل لحظة؟ السست مصيبة؟ اذا قلت انت هذه الكلمات تعنى انه سيعحضر سريراً .— كم من اللحظات قد مررت بعد هذا ،— اوَاه من ذا الذي يفتكر بالتي مضت؟ انا اريد ان اعيش وحدي في كل طرفة عين مقبلة . وسيحضر اخيراً الذي سيحضره معه .

داية : تبا له من بلاغ سلطاني . لا شك لولاه لكان ناثان احضره معه . ريحانة: هب ان هذه اللحظة حضر وهب ان افضل وقدس تمنياتي تحققت فما الذي يحدث بعد ذلك؟

داية : ماذا يحدث بعد ذلك؟ عندئذ اعمل ان افضل وقدس واجباتي تتحقق .

ريحانة: ماذا يخطر على بالي بعد ذلك عوضاً عنها وقد نسيت افضل التمنيات دون ان اتوسع في الحصول على افضل منها؟ لا شيء؟ اوَاه انا ارتعب عندما افتكر بهذا ...

داية : لتحل بعد ذلك تمنياتي عوضاً عنه تمنياتي التي تحققت وتمنياتي هي ان اراك في اوروبا مع من هو اهل لك .

انا لا اوم الاعصاب التي تقدر ان تحمله لانها اكثر قوة من غيرها . غير انه لا يوافق من اجي ولم يبق على ملاكك القليل لكي يغدو بلهاء . انا لا ازال خجلة من والدي الذي يحب المجنون .

داية : مجون ؟ هنا مصدر الفهم في نظري . مجون ! مجون ! فقط ليتي استطيع الكلام .

ريحانة : الا تستطيعين ؟ متى لم اكن اذنا صاغية عندما كنت تسرين بان تتحدى الي عن ابطال الامان الذي تدينين به ؟ اما جدت دائماً عن طيب نفس على اعمالهم بالاعجاب وعلى الامم بالدموع ؟ طبعاً لم يتراقب فقط ان ايامهم دليل بطولتهم . لكنني وجدت عزاء اعظم بالتعليم الذي يقول ان التسليم لله لا يتوقف ابداً بوجه من الوجوه على تخيلنا الوهي عن الله . — ايتها العزيزة داية ان والدي قال لنا هذا مراراً عديدة وانت كثيراً ما صادقت على آرائه هذه . فلماذا اذا تقضين وحدك ما قد شدتماه معاً ؟ ايتها العزيزة داية ان هذا ليس حديثاً نستطيع ان نواجه به صديقنا افضل مواجهة . انا بنفسي اريد ذلك لانه يهمني كثيراً فهل هو ايضاً ... اصفي يا داية ! الا يدنو مخلوق من باب دارنا ؟ اصفي عليه هو !

الم النظر الثاني

ريحانة . داية والفارس الهيكلي الذي فتح له شخص ما الباب من الخارج وهو يقول : ادخل من هنا فقط .

ريحانة : (تندهل وتضبط عواطفها وتروم ان تخر امامه) هو هو . — اواه يا منقذى !

الفارس : انا حضرت متأخراً لكي اتجنب هذا فقط ومع ذلك
ريحانة : امام رجلي هذا الرجل الكبير النفس اريد ان اقدم الشكر له فقط وليس للرجل . الرجل لم يطلب شكرآ كما لم يطلبه ايضاً دلو الماء الذي عمل به بلا انقطاع عند اطفاء النار وكان تارة يملاً وتارة يُفرَغ بلا معارض كذلك كان الرجل ايضاً وهو ايضاً دخل الى اللبيب على هذه الكيفية فوquette صدفة بين ذراعيه وبقيت هنا بين ذراعيه كشارة نار على عباءته الى ان قدرها شيء — ولست ادرى ما هو — الى خارج اللبيب — فما الذي يستحق الشكر هنا ؟ — ان الحمزة في اوروبا تقدو الى اعمال اخرى — الفرسان المهيكليون يجب ان يتصرفوا هكذا . عليهم ان يخلصوا ما هو في خطر الحريق والغريق كلاب النجاة المدرّبة تدريباً .

الفارس : (يترس فيها متوجماً وممضطراً) يا داية يا داية اذا كنت قد عاملتك بشدة في حالة انهماك البال والتبيح فلماذا كنت تطعمنها على كل

جهاة خرجت من في ؟ يا داية هذا يعني الانتقام التام .
ولكن يالتيك تمثيلني امامها من الان فصاعدأ على طريقة افضل .
داية : انا لا اظن ايها الفارس ان هذه المغامن الصغيرة التي توجه الى
قلبها قد اضرت بك كثيراً .

ريحانة : ماذا تقول ؟ كنت منهمك بالبال ؟ ولم تجد كثيراً بانهاك بالك
كما جدت بروحك ؟

الفارس : ايها الابنة الكريمة الطيبة الخصال . عجبآ كيف شطرت
نفسى بين البصر والسمع — لم تكن هذه البنت التي اخرجتها
من النار . لا لام تكن هي . — لانه من كان يعرفها فلا يغامر
لكي يخرجها من النار . من كان يتنظر مجازفي او لا ؟ نعم ان
الرعب يشوه المنظر . (فترة في انتهايتها يتأمل بها فيظير كأنه غائب عن الصواب)
ريحانة : انا لا ازال اجدك كما كنت . — (واستمرت على هذا المزوال لكى
تحول افكاره عن الاستغراب الذي استولى عليه) والان ايها الفارس قل
لي اين اقت طول هذه المدة ؟ و يحق لي تقريراً ان اسألك ايضاً
اين انت الان ؟

الفارس : انا موجود — ربما حيث لا يجب ان اكون . —
ريحانة : حيث كنت ؟ ربما ايضاً حيث لم يجب ان تكون ؟ ان هذا
لا يرضيني

الفارس : كنت على ... على ... ما اسم الجبل ؟ — على سينا
ريحانة : على سينا ؟ يا للسرور ! الان يمكنني ان اعلم حقيقة اذا كان حقاً ...

الفارس : ماذا ؟ ماذا ؟ اذا كان حقاً يرى بعد هنالك المخل الذي وقف
عليه موسى امام الله عندما ...

ريحانة : على كل حال هذا ليس المقصود . لأن المكان الذي وقف عليه
كان امام الله . وانا اعرف كثيراً عن هذا — انا اريد ان اعرف
منك حقاً هل الصعود على الجبل اسهل كثيراً من النزول عنه ؟
اعلم ان كل الجبال التي صعدت عليها كان امرها عكس هذا . —
والان ايها الفارس ماذا ؟ انت تحول عنى ؟ الا ت يريد ان
تراني بعد ؟

الفارس : لاتي لا اريد ان اسمعك تتكلمين .

ريحانة : لانك لا ت يريد ان تجعلني الاحظ انه تهزأ بسذاجتي . انك
تضحك لاتي لا اعرف ان اسألك شيئاً اهم عن هذا الجبل
الذى هو اقدس الجبال كلها ؟ اليك كذلك ؟

الفارس : علي ان اتفرس في عينيك ثانية . — ما هذا ؟ انت تطرقين ؟
اتخفين ابتسامتك ؟ انت تكتمين عني ما اسمه بوضوح تام
وما تقولينه لي بحلاه وما اريد قراءته من ملامح وجهك . الملامح
المبهمة ؟ آه ياريحانة . ياريحانة ما اصدق قوله : « تعرف اليها
او لا »

ريحانة : من قال لك هذا ؟ و من قاله لك ؟

الفارس : « تعرف اليها او لا » هذا قول والدك لي عنك .

داية : او ليس عني ايضاً ؟ اليك عني ؟

الفارس : والآن اين هو ؟ اين والدك ؟ ما زال عند السلطان ؟
ريحانة : بلا شك.

الفارس : ما يزال هنا ؟ ويلاه انا الكثير النسيان ! لا لا يصعب ان يكون هنا — من المؤكد هو ينتظري اسفل بالقرب من الدير انا اظن انتا هكذا اتفقنا . اسمحالي انا انطلق واحضره ...

داية : هذا واجبي . ابقـ هنا ابقـ هنا ايهما الفارس . انا حضره ولا اتأخر .
الفارس : اليـس الامر كذلك هو بانتظاري وليس بانتظارك . وعلاوة على ذلك ربما وقع بسهولة في حيرة امام السلطان من يعلم ذلك ؟
انتـ لا تعرفـ طبائعـ السلطان ... ثقاـ انـ الخطـرـ يقعـ اذاـ لمـ انـطقـ .

ريحانة : خطـرـ ؟ ايـ خطـرـ ؟

الفارس : اذاـ لمـ انـطقـ حالـاـ يـقعـ الخطـرـ عـلـيـ وـعـلـيكـ وـعـلـيـهـ (ينزلـ السـtarـ)

المـنـظرـ الثـالـثـ

ريحانة . دـاـيـةـ

ريحانة : ياـ دـاـيـةـ ماـ هـذـاـ ؟ اـبـهـذـهـ السـرـعـهـ ؟ مـاـ يـشـعـرـ ؟ مـاـ خـطـرـ عـلـيـ
بالـهـ ؟ مـاـ الـذـيـ يـطـارـدـهـ ؟

داـيـةـ : لـيـطـمـيـنـ بالـكـ لـيـطـمـيـنـ . اـنـاـ لـاـ اـظـنـ انـ هـذـاـ عـلـامـةـ سـيـئـةـ .

ريـحانـةـ : عـلـامـةـ ؟ عـلـامـةـ مـاـذاـ ؟

داـيـةـ : انـ اـمـراـ دـاخـلـيـاـ يـغـلـيـ فـيـ عـرـوـقـهـ وـلـاـ يـحـوزـ انـ يـزـيدـ هـذـاـ الغـلـيـانـ
عـنـ الحـدـ . دـعـيـهـ قـفـقـاـلـاـمـرـ مـتـوقـفـ عـلـيـكـ

ريـحانـةـ : ايـ اـمـرـ يـتـوقفـ عـلـيـ ؟ اـفـكـارـ تـصـبـ غـامـضـهـ لـدـيـ كـافـكـارـهـ .
داـيـةـ : عنـ قـرـيبـ تـجـازـيـهـ عـلـىـ جـيـعـ المـتـابـعـ الـيـ سـبـهاـ لـكـ . لـاـ تـكـونـيـ
قـاسـيـةـ بـزـيـادـهـ وـلـاـ طـالـبـهـ نـقـمةـ .

ريـحانـةـ : تـسـتـطـعـيـنـ اـنـ تـعـرـفـ عـنـ ايـ اـمـرـ تـكـلـيـنـ .
داـيـةـ : هلـ هـدـأـ رـوـعـكـ الانـ ؟

ريـحانـةـ : هـوـ كـذـكـ نـعـمـ هـوـ كـذـكـ ...

داـيـةـ : عـلـىـ الـاـقـلـ اـعـتـرـفـ اـنـكـ مـسـرـورـ لـاـزـعـاجـهـ وـالـسـبـ فيـ اـنـزعـاجـهـ
يـرـجـعـ لـتـعـكـ الانـ بـاـ اـنـتـ عـلـيـهـ مـنـ رـاحـةـ الـبـالـ

ريـحانـةـ : اـنـ هـذـاـ لـغـرـبـ عـلـيـ تـامـاـ . لـاـنـ مـاـ يـمـكـنـيـ اـبـوحـ بـهـ لـكـ هـوـ
اـنـتـ اـنـ ذـاـيـ اـتـعـجـبـ كـيـفـ حـصـلـ هـذـاـ السـكـوتـ بـعـتـهـ عـلـىـ اـثـرـ
تـهـيـجيـ الدـاخـلـيـ . اـنـ مـنـظـرـ بـتـاهـهـ وـحـدـيـهـ وـتـصـرـفـ . جـعلـيـ ...

داـيـةـ : مـرـتـاحـ اـلـيـ تـامـاـ ؟

ريـحانـةـ : لـاـ اـقـولـ مـرـتـاحـ اـلـيـ تـامـاـ لـاـ — حـاشـاـ وـكـلـاـ —

داـيـةـ : اـخـمـدـتـ هـفـتـكـ الـحـارـةـ قـطـ .

ريـحانـةـ : هـوـ كـذـكـ اـذـاـ كـنـتـ تـرـيـدـيـنـ هـذـاـ .

داـيـةـ : اـنـ لـسـتـ اـرـيدـ .

ريـحانـةـ : سـيـكـونـ لـيـ اـمـنـ مـنـ حـيـاتـيـ الـخـاصـةـ . اـيـضـاـ عـنـدـمـاـ لـاـ تـعـودـ عـرـوـقـيـ
تـبـضـ مـنـ بـجـرـدـ سـمـاعـ اـسـمـهـ وـلـاـ كـلـاـ اـفـكـرـتـ بـهـ يـخـفـقـ قـلـيـ اـسـرعـ
وـاقـوـيـ مـنـ ذـيـ قـبـلـ — مـاـ الـذـيـ اـثـرـهـ ؟ اـرـجـعـيـ يـاـ عـزـيزـيـ دـاـيـةـ
اـلـنـافـذـةـ الـيـ تـطلـ عـلـىـ اـشـجـارـ التـنـجـيلـ .

داية: لم تسكن لفتك الحارة تماماً بعد.

ريحانة: سأرى أيضاً أشجار النخيل ثانية ولكنني لا أراها تحتها.

داية: إن هذا الجفاء بدأية حرارة جديدة.

ريحانة: كيف تقولين جفاء؟ أنا لست جافية. حقاً أنا أحب أن أتمتع طويلاً ببرؤية ما يكفي مشاهدته براحة بال.

المنظر الرابع

(المشهد: قاعة الاستقبال في بلاط صلاح الدين)

(صلاح الدين وسته)

صلاح الدين: (يدخل وظهره إلى الباب) أحضرو اليهودي إلى هنا حالما يأتى.
يظهر أنه لا يسرع.

سته: لم يكن حاضراً فلم تتمكن من ان نجده حالاً.

صلاح الدين: شقيقتي - شقيقتي!

سته: تصرف كأنك أمام موقعة.

صلاح الدين: وهذا سلاح لم اعتد حمله. هل انكرت وأوجد اضطراباً
وانصب خاخاً واضلل متى استطعت ذلك؟ وain تعلمت هذا؟
ويجب علي الان ممارسة هذا كله؟ ولماذا؟ حقاً ما الغاية منه؟
لكي احصل المال احتيالاً. - لكى احصل على المال بالتهويل
على يهودي واقوم اخيراً بهذه الحيل الصغيرة لاحصل ادنى الدنيا؟

سته: أخي ان احتقار كل صغيرة احتقاراً زائداً يسبب رد فعل.
صلاح الدين: هي الحقيقة لسوء الحظ. - وإذا كان هذا اليهودي هو
الرجل الحميد الحصول الذي الفؤاد كما وصفه لك الدرويش
سابقاً؟

سته: عندئذ لا داعي للضمير والشرك ينصب فقط لليهودي البخيل
المتهم بأمور الدنيا والخافف وليس للحميد الحصول والذكي
القلب. إن هذا أصبح خاصتنا بلا شرك. إن القلب يسر لدى
سماعه نطق هذا الرجل وبأي جسارة يقطع القيد وكيف يمر
بالشباك بحذر ملؤه الدهاء. وقد اختبرت هذه اللذة سابقاً.

صلاح الدين: هذه هي الحقيقة بعينها. حقاً أنا أسر بها.

سته: ليس ما يحملك على الخيرة طالما هو يهودي عامي. هل تستحي
ان تظهر امامه كما يتصور هو جميع الناس؟ وبالعكس ان كل
من يعد نفسه امامه افضل مما هو يعد في عينيه غبياً معجباً بنفسه.

صلاح الدين: هل اتصرف تصرفارديئاً لكي لا يحسبني الرديء رديئاً؟
سته: حقاً اذا كنت تعد استخدام كل شيء بحسب طبيعته تصرفارديئاً:

صلاح الدين: اي شيء لا تجرّب النساء ان تحسنه؟

سته: ان تحسنه!

صلاح الدين: اخاف ان هذا الشيء النحيف اللطيف يكسر بين يدي
الختين! - ان شيئاً كهذا يجب اخراجه الى حيز العمل كما
اوجد بكل مهارة وبلاقة. - ولكن ليته مستطاع.انا اتم هذا

بقدر استطاعتي واستطيع ذلك . طبعاً اني افضل عدم استطاعة ذلك على استطاعته .

سته : لا تقلل من الثقة بنفسك كثيراً . اذا كنت تريد فانا مستعدة ان اغضنك . — الفضل في محاولة الرجال امثالك اقعاًنا يرجع الى سيفهم الذي اوصلهم الى هذه الدرجة . طبعاً ان الاسد يخجل ان يصطاد صحبة الثعلب — صحبة الثعلب نفسه وليس مكره .

صلاح الدين : ان النساء يحاولن كثيراً اكتساب الرجل — اطلاقي فقط ! اطلاقي . — انا اعتقد اني اعرف الدرس الذي أليه عليَّ .

سته : ماذا تقول ؟ يجب ان اطلق ؟

صلاح الدين : انت لم تقبلين ان تبي هنا ؟

سته : ولو لم ابق ... ولم ابق في حضرتك — لكن في الغرفة المحادية صلاح الدين : هنا لتسمعي ؟ هذا ايضاً لا يجوز ايتها الشقيقة اذا اردت ان اصر على قولي . — اطلاقي اطلاقي . — الستار يتحرك وهو آت هوآت — غير اني ساقش حولنا لكي لا تقسي هنـا (عند خروجها من أحد الأبواب يدخل ناثان من الباب الآخر ثم يجلس صلاح الدين)

المنظار الخامس

صلاح الدين . وناثان

صلاح الدين : اقترب ايها اليهودي — اقترب ! تقدم بكليتك الى لا تحف .

ناثان : ليقي المخوف لعدوك .

صلاح الدين : انت تدعى ناثان ؟

ناثان : نعم

صلاح الدين : ناثان الحكيم ؟

ناثان : لا .

صلاح الدين : حقاً انت لا تدعوا ذاتك كذلك . لكن الشعب يدعوك .

ناثان : ربما

صلاح الدين : هل تظن اني احقر صوت الشعب ؟ منذ مدة طويلة تمنيت ان اتعرف الى الرجل الذي يدعوه الشعب حكيمآ .

ناثان : حتى ولو نعمت بهذا على سبيل السخرية ؟ هب ان الحصيف هو الذي ينعته الشعب بالحكيم . وال Hutchinson هو فقط من يستطيع جر الماء لنفسه ؟

صلاح الدين : انت تعني معانمه الخاصة ؟

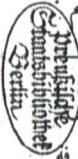
ناثان : طبعاً عندئذ يكون اكثر الخلق انانة احصفهم وعندئذ يكون الحكيم وال Hutchinson واحداً .

صلاح الدين : اسمعك تبرهن ما ت يريد مقاومته . — ان معانم الانسان الحقة التي لا يعرفها الشعب تعرفها انت ولم تتأخر عن ان تجرب ان تعرفها وقد تأملت بها وهذا وحده فقط يجعل الانسان حكيمآ .

ناثان : هذا ما يظنه كل انسان عن نفسه .

صلاح الدين : كفانا قناعة لان سماعها المتواصل حيث يتضرر الانسان

الثلاثة هو الدين الحقيقي القويم فقط — انَّ رجلاً مثلك لا يحق مقيماً حيث وضعته التقادير حين ولادته وإذا بقي هناك فانه يقيم عن عقيدة وبرهان اختيار الأفضل . هلمَّ واحذرني عن عقيدتك . اسعني الاسباب التي لم يكن لي من الوقت ما يدعني اعمق فيها . دعني اعرف الاختيار الذي يعين هذه الاسباب لكي اتبع انا ذلك ايضاً . طبعاً ان هذا بيق سرآ يتنا — ماذا؟ انت تنظر الي مرتاباً؟ — ومتاماً ايي يصرك؟ ربما انا اول سلطان خطر على باله هذا التصور الغريب ولكنه لا يقل من مقامي كسلطان — اليك كذلك؟ — اذا تكلم ! تكلم ! ام تريد لحظة للتأمل؟ حسن انا اهبك هذه اللحظة (هل تستمع سه؟ انا استمع اليها لارى اذا كنت قد تصرفت حسناً) — تأمل حلاً! انا لا اتأخر عن الرجوع (ثم يذهب الى الغرفة المجاورة التي ذهبت اليها سته)



المنظار السادس

ناثان (وحده)

ها ها عجاً! ما الذي جرى لي؟ ماذا يريد السلطان؟ انا مستعد ان اقدم الدرام وهو يتطلب الحقيقة . الحقيقة ويريدها عداؤ ونقداً كأن الحقيقة عملة . — اجل لو كانت عملة قديمة يتعامل بها

سماع اقوال الفهم المجردة يسبب كرهاً (هنا ينهض) دعنا نصل الى غايتنا . الاستقامة ايها اليهودي الاستقامة !
ناثان: ايها السلطان حقاً انا اريد خدمتك على كيفية تكفل لي معاملتك في المستقبل .

صلاح الدين: تريدين خدمتي؟ ما هذا؟

ناثان: انا اقدم لك افضل ما عندي وبارخص ثمن .

صلاح الدين: عن اي شيء تتكلم؟ عسى ان لا يكون كلامك عن بضاعتك؟ اختي ستبتاع منك (سته التي تستمع حدثينا) — انا لا علاقة لي بالتجار .

ناثان: لا شك في انك تريدين ان تعرف ماذا لاحظت وشاهدت في طريقي من امور العدو الذي يتحفز — أُسمح لي ان اتكلم بصرامة؟

صلاح الدين: هذه الامور ليست هدفي . انا اعلم عن هذه الامور بقدر ما يلزمني معرفته . — اختصر —

ناثان: مُر ايها السلطان!

صلاح الدين: انا انتظر ارشادك في شيء آخر — ولاشك حكيم بهذا المقدار قل لي اي ايمان واية شريعة اقرب لادراكك اكثر من غيرها؟

ناثان: ايها السلطان انا يهودي .

صلاح الدين: وانا مسلم والمسيحي ييننا . — وواحد من هذه المذاهب

وزناً^(١) لكان من المحتمل تحقيقها. غير انها عملة جديدة تعرف من صكها وتسنم عداؤها وهل توضع الحقيقة في الرأس كوضع العملة في الكيس؟ من هنا! اليهودي انا ام هو؟— ولكن ما العمل؟ الا يجوز ان يطلب الحقيقة عن طريق الحقيقة؟— ان اتهامه انه يستخدم الحقيقة كفخ فكر سخيف.— سخيف؟ اي شيء سخيف على الانسان العظيم؟— حقاً انه الى كلام المبحث على عواهنه. على الانسان ان يستطيع الامور اولاً ثم يصنفي اذا كان يقترب كصديق. يجب علي ان اكون حذراً ولكن كيف؟ ما العمل؟— لا يجوز ان اكون يهودياً قوله وفعلاً ابداً— ولا يجوز ان لا اكون يهودياً بكل معنى الكلمة لانه اذا لم اكون يهودياً يقدر ان يسألني ولم لا تكون مسلماً؟— الان عرفت ماذا يجب علي عمله وهذا يقدر ان يخلصني — لا يغذى الاولاد بالحكايات فقط. هو آت دعه يأتي

المطر السابع

صلاح الدين وناثان

صلاح الدين: هنا لا رقيب علينا. عسى ان رجوعي اليك لم يكن بسرعة زائدة؟ قد انهيت تأملاتك— تكلم الان لا مخلوق يسمعنا.

(١) كانوا قد ينون العملة حين التعامل بها.

ناثان: سيان عندي! الدنيا باسرها تستطيع ان تسمعنا. صلاح الدين: الى هذه الدرجة يعلم ناثان المطلوب اليه عمله حق العلم؟ اجل لهذا ادعوه حكيمًا لانه لا يطمس الحقيقة مطلقاً. بل يتحمل لاجلها كل شيء ويكرس لها حياته وكل ما تملكه يداه. ناثان: اجل. اجل اذا لزم الامر وكان يرجى منه منفعة. صلاح الدين: منذ الان يحق لي ان اطعم ان القب بحق مصلح العالم والقانون. ناثان: حقاً انه لقب جميل ولكن ايها السلطان اسمح لي قبل ان اسلم نفسي اليك تماماً ان اقص عليك قصة صغيرة. صلاح الدين: وما المانع؟ انا دوماً احب القصص التي تلقى جيداً. ناثان: ولكنني لست من يلقون جيداً. صلاح الدين: القعود الى الحشمة الناجمة عن عزة النفس؟ — ابداً واتل علينا قصتك!

ناثان: كان في قديم الزمان في البلاد الشرقية رجل يملك خاتم لبيك غالى الثمن حصل عليه من عزيز عليه. وكان فصه من عين الهر^(١) وبلغت الوانه المثلث عداً وكان له قوة سرية تجعل المتهم به مرضاً امام الله والناس اذا لبسه بهذه العقيدة. فهل من غرابة اذا لم يخلعه هذا الرجل قط من اصبعه وان يوصي خلفه ان يحفظوه دائمآ بين افراد عائلته؟ وكانت الوصية كالتالي: هو تركه لاحب

(١) حجر كريم كثير الالوان

ابنائه واوصى وصيحة لا تقبل النقض والابرام ان يسلمه هذا بالسلسل الى افضل صبي من ابنائه بقطع النظر عن زمن الولادة وهكذا لا يصبح حامله بقوة الخاتم كغير العائلة فقط بل اميرها ايضاً المرجو فبم ياسلطان الزمان .

صلاح الدين : انا افهمك . سر في كلامك .

ناثان : وهكذا انتقل هذا الخاتم من ولد الى اخر الى الله وصل اخيراً الى رجل له ثلاثة صبيان وكانوا ثلاثة متساوين في طاعته ولذلك لم يحجم عن جهم ثلاثة متساوياً ولكن بين آونة وأخرى كان يتراوئ له تارة هذا وتارة ذاك وأخرى ثالثهم مستحقاً ان يكون الخاتم في حوزته وكان في الوالد هذه النقيصة : عندما كان يختلي كل منهم باليه ويرغب له قلبه يعده بالحصول على الخاتم ودامت الحال على هذه الكيفية الى ان دنت ساعة الاجل وهنا تغير الوالد المحب وكان يشعر بالمخايل اذا مس احساسات اثنين من ابنائه كانا يشاقن بكلامه — وهنا تأمل الوالد قائلاً : ماذا يحب عمله ؟ — حينئذ اوصى سراً صائغاً فناناً ان يصنع له خاتمين آخرين على شكل الخاتم تماماً وامرها ان لا يقتصر في المتصروف والتعب لكي يصنعنها تماماً كالاول وتمسكن الصانع الفنان من اتقان العمل وعندما احضر الخواتم لم يتمكن الوالد ذاته من معرفة الخاتم الاصلي وبقلب فرح وصدر منشرح دعا ابناه كلاً بمفرده وباركه واعطاه خاتمه .

ثم اسلم الروح . هل انت مصبع يا سلطان الزمان الى كلامي ؟
صلاح الدين : (يتحى عنه مضطرب البال) — انا سامع انا سامع ما
تقوله — انه حكايتك عاجلاً . — هل هذا ممكن ؟

ناثان : قد انتهيت منها . وما ليها مفهوم من تلقاها نفسه . — وحالاً
بعد موت الوالد اتي كل واحد من الابناء الثلاثة ومعه خاتمه
طالبآً ان يكون هو امير البيت وعيثأ تحرروا الامر وتخاصموا
وتقاضوا لانه لم يكن بالاستطاعة تمييز الخاتم الحقيقي —
(وبعد فترة كان يتضرر فيها جواب السلطان) وهو غير قابل التمييز كعدم
امكاننا الان تمييز الایمان الحقيقي .

صلاح الدين : ماذا تقول ؟ هل هذا هو الجواب على سؤالي ؟
ناثان : اريد فقط ان اعتذر لعدم ثقتي بنفسي في تمييز الخواتم التي امر
والد بصنعها وهو يبغى عدم التمييز فيها .

صلاح الدين : الخواتم لا تهدى معى ! انا ظنت ان الاديان التي
ذكرتها لك قابلة ان تفرق الواحدة عن الاخرى حتى في الملبس
والأكل والشرب .

ناثان : ولكن ليس بالنظر الى اساساتها . — اما أست كلها على التاريخ ؟
المكتوب والمنقول ؟ — والتاريخ يتوقف على الامانة والایمان
فقط ؟ اليه كذلك ؟ — فامانة وایمان من اقلها شكاً عندنا ؟
طبعاً ذوقونا نحن الذين من دمهم ؟ هم الذين برهنوا لنا منذ
حدثتنا على جهم لنا . الذين لم يخدعونا قط عندما كان الخداع

انجع لنا .— كيف يتمنى لي ان اصدق آبائي اقل ما تصدق انت ذويك ؟ وبالعكس هل يحق لي ان اطلب اليك ان تقتص من اكاذيب سلفك لكي لا تناقض اكاذيبك ؟ وبالعكس فهذه الحقائق بعينها تنطبق على المسيحيين . اليك كذلك ؟
 صلاح الدين : والله الحبي لقد اصاب الرجل وانا قد افحمت ناثان : دعنا نعود الى خواتينا . كما مرّ بنا القول رفع الابناء امرهم الى القضاء وكل منهم اقسم امام القاضي انه يقول الحقيقة وانه استلم الخاتم مباشرة من يد والده .— وكان قد وعده منذ مدة طويلة بالتمتع بامتياز الخاتم — ولم يكن هذا القول اقل صدقاماً قبله .— وكل واحد منهم صرخ ان والده لم يغشه وقبل ان يظن السوء في والد حب مثله يتهم اخوه بالخدعة الباطلة مع انه يفضل ان لا يظن فيها الا كل ما هو حسن وهو يريد ان يعرف الخونية وينقم منهم .

صلاح الدين : هل نسمع الان علاقة القاضي بالقضية ؟ — اني متشوق لاسمع ماذا تريد ان تكلم بسان القاضي . تكلم !
 ناثان : قال القاضي : « اذا لم تحضروا والدكم حالاً امامي ارد قضيتك . هل تظنو انني موجود هنا لاجل احاجي ؟ ام تنتظرون ان يفتح الخاتم الحقيقي فيه ؟ — ولكن اسمعوا . بلني ان للخاتم الحقيقي قوة عجيبة تجعل حامله مرضياً امام الله والناس وهنا القول الفصل لأن الخاتمين المقلدين لا يستطيعان ذلك .

والآن اخبروني ايكم محظوظ من اخويه الآخرين اكثر من الجميع ؟ — قولوا لي حالاً . التصمون ؟ هل للخواتم فاعلية في نفس حاملها فقط ؟ وليس في غيره ؟ هل كل واحد يحب نفسه فقط اكثر من غيره ؟ — اعلموا انكم خادعون وخدوعون . ان خواتمكم الثلاثة ليست حقيقة . يظهر ان الخاتم الاصلي فقد ولكي يخفى الوالد الخسارة ويعرض عنها او صي بصنع ثلاثة خواتم عوضاً عن واحد .»

صلاح الدين : يا للعظمة ! يا للعظمة !

ناثان : ثم استمر القاضي في الكلام قائلاً : « اذا لم تقبلوا مشورتي عوضاً عن حكمي ، عليكم ان تتطلقا من هنا اما مشورتي فهي هذه : اقبلوا الامر تماماً كما هو . بما ان كلام منكم استلم خاتمه من والده فليعتقد كل منكم ان خاتمه هو الاصلي .— ربما ان الاب لم يعد يتحمل جور احد الخواتم في بيته .— ومن المؤكد انه احبكم اتم الثلاثة جباراً متساوياً حتى انه لم يرض الضغط على اثنين فلم يفضل واحداً على الآخرين .— فهليوا وليتسابق كل واحد منكم في حلبة المحبة الحرة المجردة عن الاحكام البدئية غير المزهنة وليسع كل منكم للسباق في اظهار القوة الموجودة في فص خاتمه وليقابل هذه القوة بوداعة وثقة قلبية وعمل الخير والتسليم الكلي لله وادا ظهرت قوى الحجارة عند احفادكم عندئذ ادعوهم ثانية بعد الوف الوف السنين للثول امام هذا

الكريسي وفي ذلك الحين يجلس على هذا الكرسي رجل حكم
مني وهو يقول : اذهبوا — هنا ما قاله القاضي المحتشم .

صلاح الدين : الله اكبر ! الله اكبر !

ناثان : يا صلاح الدين اذا كنت تشعر بنفسك انك هذا الرجل الحكم
الموعود به ...

صلاح الدين : (يهم عليه ويمسك يده ولا يتزكي) يا الله ! انا الغبار ... انا
الفاني ...

ناثان : ماذا جرى لك ايها السلطان ؟

صلاح الدين : ايها العزيز ناثان لم تقض الالف سنة التي قال عنها
قاضيك — وكرسي قضايئه ليس كريسي — انطلق ! انطلق !
ولكن كن صديقا لي .

ناثان : هل هناك ما يقوله لي صلاح الدين بعد ؟

صلاح الدين : لا شيء .

ناثان : لا شيء ؟ كنت اتمنى الحصول على فرصة لارفع اليك طلباً .

صلاح الدين : يلزمك فرصة لاجل طلب ؟ — تكلم !
ناثان : انا آت من سفر بعيد كنت اجمع فيه ديونا لي . — وعندني
نقدية كبيرة — ها قد أصبحت الاحوال حرجة ولست
ادري اين تكون الاموال مأمونة — فافتكرت في نفسي ربما
تحتاج الى شيء من المال لأن الحرب التي أصبحت على قاب
قوسين تتطلب دوماً المال .

صلاح الدين : (ينظر اليه بعينين جاحظتين) يا ناثان انا لا اريد ان اسألك اذا
كان الحافظ قد قبلك ولا اريد ان استفسر اذا كان ظن السوء
يحملك على ان تعرض عليَّ هذا الطلب عن طيب نفس ...

ناثان : سوء ظن ؟

صلاح الدين : انا استحق ذلك . — ارجو عفوك — اذ ما الذي
پُرجي اذالم اكن صريحاً نحوك ؟ يجب عليَّ ان اعترف لك انتي
كنت مزمعاً ...

ناثان : ولكن ليس لكى تطلب اليَّ ذات الشيء ؟ ...

صلاح الدين : على كل حال ...

ناثان : على هذه الكيفية يصل كل منا الى مرغوبه . ولكن الفارس
الهيكلى يعني من ان ارسل اليك كل ما املكه عدا ونقداً .
انت تعرفه — يجب عليَّ ان ادفع له قبل ذلك كمية كبيرة .

صلاح الدين : الفارس الهيكلى ؟ عسى انك لا تساعد الداعي بما لك ؟
ناثان : انا اتكلم فقط عن ذلك الذي ابقيت عليه .

صلاح الدين : آه وبماذا تذكرني ؟ انا قد نسيت هذا الشاب بالكلية . —
اعرفه ؟ — اين هو ؟

ناثان : كيف ؟ الا تعلم كم من العامل حلَّ عليَّ بسببيه و بواسطته ؟
هو الذي خلص ابتي من النار معرضاً حياته التي ابقيت له
حدثاً للخطر .

صلاح الدين : هو ؟ هو عمل هذا ؟ ان ملامحه كانت تدل على ذلك

حقاً ان اخي الذي يشبهه كان فعل ذلك ايضاً. الا يزال هنا؟ اذاً حضره اليها ! — قد حككت لاختي كثيراً عن اختها هذا الذي لم تكن تعرفه حتى انه يجب علىَ ان اريها صورته ايضاً. انطلق واحضره ! فالعمل الصالح كثيراً ما يكون مبعثاً لاعمال صالحة كثيرة حتى ولو انها كانت وليدة الشهوة المجردة ! انطلق ! انطلق واحضره !

ناثان : (هنا يترك يد صلاح الدين حالاً) اما الامر الآخر فيقع على ما كان عليه (انتي)
 صلاح الدين : واحسرتاه لاتي لم ادع اختي تتسمع — انطلق اليها ! — فكيف يتسمى لي ان احكى لها كل شيء .
 (ينطق من الجهة الثانية)

المنظر الثامن

المشهد : نجت النخيل بالقرب من الدير حيث ينتظر الفارس الهيكلي ناثان .

الفارس : (ياجي نفسه بمحادثة اياها وهو يتمشى ذهاباً واياباً الى ان يفتح فاء) هنا تقع الضحية منهوكه القوى . لا بأس بذلك . اانا لا ارغب ولا اريد ان اعرف مفصلاً ماذا يحول في خاطري . ولا اريد ان اتكلمن بماذا الايام جبالى — كفى اني عثنا هربت . — انا لم استطع شيئاً غير الهرب — فليحل بي ماتحبه لي التقادير . —

والحادث الذي جربت كثيراً ومدة طويلة ان اتخلص منه حل بسرعة غريبة — انا اشاهد التي لم اتقى كثيراً الى مشاهدتها — انا اشاهدتها واصمم ان لا تبرح ابداً من امام عيني — ما هو التصميم ؟ التصميم هو الارب والعمل . واما انا فقد تالت قط — اما مشاهدتها والشعور بالقيد والاقرأن بها كان وسيقى كما كان ولا يمكنني ابداً ان اتصور العيش بعيداً عنها . وفي هذا لا محالة موتي . — وحيثما تكن بعد الموت هنالك يكن موتي ايضاً . — فاذا كانت هذه محبة فكذا طبعاً يحب الفارس الهيكلي — يحب المسيحي الابنة اليهودية — او اوه واي ضرر ينجم عن هذا ؟ — انا قد نذرت في ارض المعجاد وبذلك نذرت نذراً ابداً انت اخلص من الافكار التي لا تمتص — ماذا تتبعيه طعمي بعد ؟ — انا الفارس الهيكلي قد اصبحت ميتاً وكنت ميتاً في عيني " صلاح الدين منذ تلك اللحظة التي اصبحت اسيراً فيها بين يديه هل هذا الرأس الذي عفا عنه صلاح الدين هو رأس القديم ؟ — هو رأس جديد لا يعرف شيئاً ابداً ما قيل للقديم وما قيد به . — وهو اصلح لسقوط الرأس . اتي اشعر بهذا لاتي به فقط شرعت افکر كما كان يفتكر والدي في حالة كهذه اذالم يكن ما قيل لي عنه حديث خرافه . — حديث خرافه ؟ — الا انه قبل التصديق تماماً ولم تظهر لي صحته قط اكثر من الان عندما اصبحت في خطر السقوط حيث سقط

هو — هو سقط ؟ افضل السقوط مع الرجال على الوقوف مع اولاد — ان مثاله يؤكّد لي استحسانه للامر . الى اي استحسان توق نفسي ؟ استحسان ناثان ؟ ان تشويقه لا يهمني اكثر من استحسانه . — يا له من يهودي ! — وهو لا يحب ان يظهر يهودياً . ها هو آت . آت مسرعاً ويطفح وجهه بشراً . ومن ذا الذي يرجع من حضرة صلاح الدين بحالة غير هذه ؟ ها ها ناثان .

المنظر التاسع

ناثان والفارس الهيكلي

ناثان : ماذا ؟ هل انت هو ؟

الفارس : قد اقمت مدة طويلة جداً عند السلطان .

ناثان : لم أقم طويلاً ولكن قد حصل لي ما عاقي طويلاً اثناء ذهابي .
اجل حقاً ان كورد اهل للذكر الذي احرزه . ان ذكره ليس الا ظله — ولكن دعني قبل كل شيء ان اقول لك ...

الفارس : ماذا ؟

ناثان : يريد ان يخاطبك . يريد ان تحضر امامه حالاً . اتبيني الى منزلي حيث يحب ان ادخل له شيئاً آخر وبعد ذلك نطلق .

الفارس : ناثان انا لا ادخل الى بيتك ثانية قبل ان ...

ناثان : لقد كنت اذاً فيه قبل الان ؟ هل تكلمت معها اثناء ذلك ؟ —
والان ؟ — قل لي هل راقتك ريحانة ؟

الفارس : هي تفوق كل وصف . الا ان رؤيتها ثانية من الحال .
الحال . الحال . — عليك حالاً ان تدعني — انه يمكنني مشاهدتها
دائماً ابداً .

ناثان : ماذا تبني بكلامك هذا ؟

الفارس : (بعد لامي يعاقه بنته) يا اباه .

ناثان : ايها الشاب !

الفارس : (يتكل حالاً بعد ان عاقه ويقول) لم لا تخاطبني بقولك يا بني —
ارجو منك يا ناثان !

ناثان : ايها الشاب العزيز !

الفارس : او ليس يا بني ؟ ارجو منك يا ناثان ! استحلفك باول
روابط الطبيعة ! لا تفضل عليها قيوداً مقبلة ! — اكتفِ بـ
 تكون انساناً — لا ترذلي !

ناثان : ايها الصديق العزيز الوفي ! ...

الفارس : ويني ؟ وليس بني ؟ ايضاً لا ؟ حتى ولو مهد الاعتراف
 بالجميل للبحبة الطريق الى قلب ابنتك ؟ حتى ولو انتظروا ايعازك
 ليتحدا معاً ؟ — انت تسكت ؟

ناثان : انت تباغتي ايها الفارس الحديث السن .

الفارس : انا اباغتك ؟ — هل اباغتك يا ناثان بافكارك الخاصة ؟ —

ناثان : انت تتحدى — ولكن هل استحق ذلك ؟ هل رفضت لك طلباً ؟ اريد ان اقيدك بكلامك هذا وليس بالزمان — ليس الا.

الفارس : مؤكداً ؟ ليس الا ؟ اذاً ارجو عفوك ! ...

ناثان : تعال اذاً تعال !

الفارس : الى اين ؟ لا — معك الى منزلك ؟ — لا يمكن ذلك — لا يمكن ذلك ا — ارى حريقاً — انا انتظرك هنا اذهب ! — اذا كان يجب ان اراها فسأراها مراراً عديدة بعد وان لم يكن كذلك فقد رأيتها اكثراً مما يجب .

ناثان : اريد ان اطلق مسرعاً بقدر امكاني .

المنظر العاشر

(الفارس الهيكلي وحالاً بعده داية)

الفارس : كفانا — ان العقل الانساني يحوي اكثر من الكثير ومع ذلك نراه احياناً وبغة يضيق ذرعاً . نعم يضيق ذرعاً من اصغر صغيرة . — لا خير منه يرجي نعم لا يرجي منه خير ولو حشى بما يشهيه . — صبراً ! ان النفس تهضم مع الموارد المتاخرة بعد مدة قليلة وتتجدد منفذًا وتعيد النور والنظام ثانية . — هل وقعت في الحب للمرة الاولى ؟ او لم يكن ما ادعوه الان حبة محبة في ما سلف ؟ هل المحبة هي فقط ما اشعر به الان ؟ ...

هل تتجاهلها لانها خارجة من فيي ؟ انا ابغفك ؟

ناثان : قبل ان اعلم الى من آن شتوفن كان والدك يتنمي .

الفارس : ما الذي تقوله يا ناثان ؟ ماذا ؟ الا تشعر في هذه اللحظة الا بحب التطفل ؟

ناثان : اذاً اعلم ! انا تعرفت في ما مضى الى شخص من آن شتوفن يدعى كنراد .

الفارس : والآن — ما العمل اذا كان والدي يدعى هكذا ايضاً ؟

ناثان : اتكلم الحق ؟

الفارس : انا بذاتي ادعى كوالدي . ان كلمة كوردي هي كنراد بالذات .

ناثان : اذاً — لم يكن كنراطي والدك . لأن كنراد كان فارساً هيكلياً مثلك ولم يتزوج فقط .

الفارس : ولذلك !

ناثان : ماذا تعني ؟

الفارس : ولذلك ربما كان والدي .

ناثان : انت تمزح .

الفارس : حقاً انت تدقق بزيادة ! — ما قولك ؟ لو كان لقيطاً او ابن زنى لما كان يوجد ما يحمل على الاحتقار . — خلصني من .

مسألة اسلامي اخلصك من مسألة اسلافك . حقاً انه لا شك عندي في شبرة عائلتك . حماك الله . انت تستطيع الرجوع بها صفة صفة حتى ابراهيم بالذات ومن هنا فصاعداً استطيع ان أأيدها بالذات .

داية : (تنسل منزوية الى داخل) ايهما الفارس الفارس !

الفارس : من يدعوه ؟ — هل انت يا داية ؟

داية : انسلت عنه ، ولكنه يستطيع رؤيتنا بعد من حيث انت جالس —

لذلك اقترب الي من وراء هذه الشجرة .

الفارس : ما الخبر ؟ ما السر ؟ مازا ؟

داية : اجل ان ما حملني على الحجى اليك هو سر مزدوج احدهما اعرفه

انا والآخر لا يعرفه الا انت — ما رأيك في تبادلنا السررين ؟

اشمني على سرك أثمنك على سري .

الفارس : عن طيب نفس . — ولكنني اود ان اعرف ماذا تظنين في سري — الا ان هذا يتضح طبعاً من سرك — ابدأي بالكلام .

داية : فكر فيما تقوله . لا يحضره الفارس ابداً انت ثم اتبعك انا —

وتأكد ان سري لا ينفعك مالم اطلع اولاً على سرك — اسرع —

لاني اذا طلبت اليك ان تبوح لي به لا تكون قد بحثت لي بشيء .

وسري يبقى مكتوماً وتكون قد تخلصت من سرك — ايهما الفارس

المسكين — عجباً كيف تستطيعون ايهما الرجال ان تصدقاً ان

لديكم سراً خفياً عنا نحن النساء .

الفارس : ابنا مراراً كثيرة لا نعلم ان هذه صفاتنا .

داية : ربما كذلك كذلك . ولهذا يجب علي طبعاً ان اكون اولاً حائزة

على صداقتك لكي اطلعك على ذلك — قل لي ما هي الغاية من

قطعك الحديث بفتحة وانسحابك ؟ ومن تركك اي اي هكذا ؟ —

ومن عدم عودتك اليانا مع ناثان ؟ لم تؤثر عليك ريحانة الا
قليلًا ؟ ما هي الحقيقة ام كان تأثيرها عظيمًا ؟ كثيراً جداً —

انت تعليني فهم رفرفة العصفور التاسع اللاصق بقضيب الدبق
وبعبارة وجينة اعترف لي حالاً انك تحبها حباً يفوق الجنون
وانا اقول لك شيئاً ...

الفارس : حتى الجنون ؟ حقاً ! انك تفهمين ذلك فهما محكمـاً .

داية : والا ان اعترف لي بالمحبة فقط . اما الجنون فاني اغترفه لك .

الفارس : لان ذلك يدرك من تلقاء نفسه ؟ ان فارساً هيكلياً يحب ابنة
يهودية ! ...

داية : ان هذا يظهر طبعاً غير معقول . — ولكن مراراً كثيرة نجد
المعقول في امرنا اكثراً مما نظن ولا يعد اجتناب المخلص اليانا
اليه على طرق قلما يطأها العاقل من تلقاء نفسه امراً غير معقول .

الفارس : يا للوراءة ! ... ولو وضعت عوضاً عن كلية مخلص كلية الخذار
الا تكون هي مصيبة ؟ انت تصيريني فضولياً اكثراً مما انا
معتاد ان اكون .

داية : آه ان هذه بلاد العجائب !

الفارس : حقاً بلاد العجائب ! — هل يمكن ان يكون الامر خلاف
ذلك ؟ ان العالم كله يزدحم هنا . — ايتها العزيزة داية اعتبري
طلبك مسلماً به فاتي احبها وانتي لا ادرك كيف يمكنني ان اعيش
بعيداً عنها وان ...

داية : حقاً؟ حقاً؟ اقسم لي اذاً ايها الفارس انك ستتخذها رفيقة حياتك وانك ستتقندها ! ستتقندها زمنياً هنا وابدياً في الاعالي .

الفارس : وكيف ذلك ؟ — كيف يمكنني ذلك ؟ — هل استطيع ان اقسم على ما ليس تحت سلطتي ؟

داية : ان ذلك في استطاعتك . اني استطيع جعل ذلك في استطاعتك بكلمة واحدة .

الفارس : الا يقاوم الوالد ذلك ؟

داية : نعم الا بـ . الا بـ يُرغم على ذلك .

الفارس : يُرغم يا داية ؟ لم يقع بين يدي لصوص حتى الان — هو لا يُرغم .

داية : يجب عليه القبول . سيجبر اخيراً على القبول .

الفارس : سيجبر ؟ وعن طيب نفس ! ولكن يا داية اذا اخبرتك اتي بذاتي قد جربت ان اكلمه بهذا النغم ؟

داية : ماذا ؟ وهو لم يقبل ؟

الفارس : هو قاطعني بصوت مكدر قهري .

داية : ماذا تقول ؟ كيف ؟ — قد المحظى عرضنا الى رغبتك في توجيه افكاره الى ريحانة وهو لم ينتفع فرحاً ؟ هل انسحب بكل جفاء ؟ وسبب متاعب ؟

الفارس : واقعة الحال كما وصفت تقريراً .

داية : اني لا اريد ان اتردد لحظة بعد — (استراحة)

الفارس : انت لا تزالين تتردددين ؟

داية : كان الرجل في كل الاحوال فاضلاً — وانا بذاتي مدحنة له كثيراً . — الله يعلم ان قلبي يقطر دمماً لو حاولت ارغامه لانه لا يريد ان يُصغي ابداً .

الفارس : ارجو منك يا داية ان تخرجيني من حالة الغموض هذه وادا كنت لا تزالين جاهلة الموقف خيراً كان ام شرآ معيناً ام مسراً فالسكتوت اولى . انا سأتناسى ان لديك سراً .

داية : هذا الامر يدفعني الى التصریح عوضاً عن التكتم . اعلم ان ريحانة ليست يهودية بل مسيحية .

الفارس : (بكل فتور) هكذا ؟ اتقدم اليك بالتهنة . المجد كلامك قلباً واعياً ؟ لا تدعني الاوجاع تزعجك ! استمر في غيرتك لكي

تزيدني عدد اهل السماء عندما لا تستطيعين ذلك على الارض .

داية : ماذا تقول ايها الفارس ؟ اتسحق افادتي هذه السخرية ؟ الا تسر بعد ايها الفارس الميكيلي لانك مسيحي ولان ريحانة التي تحبها مسيحية ايضاً .

الفارس : لانك تريدين ان تجعلها مسيحية .

داية : اهكذا تفهم واقعة الحال ؟ ربما الامر كذلك ! — لا انا اروم ان ارى من يهدئها الى الصراط المستقيم ومنذ زمان بعيد ترى سعادتها في ان تكون مسيحية اسماً لأنها منوعة من ان تكون مسيحية فعلاً .

١١٨

الفارس: افصحي عن رأيك او انطلق .

داية: هي ابنة مسيحية مولودة من ابوين مسيحيين ومتصرة . . .

الفارس: (مضطرباً) ناثان؟

داية: ليس والدها!

الفارس: ناثان ليس والدها؟ — هل تعلمين ماذا تقولين؟

داية: الحقيقة التي تجعلني مراراً كثيرة ابكي دمأ . — لا هو ليس والدها . . .

الفارس: هو ربها فقط كابنته؟ قد ربى الابنة المسيحية كيهودية؟

داية: بدون شك.

الفارس: هي لا تعلم على اي مذهب ولدت؟ — الم تسمع منه قط انها ولدت مسيحية وليس يهودية؟

داية: ابداً.

الفارس: الم يرب الابنة في هذا الغرور فقط؟ هل ابقيها على هذا الغرور؟

داية: لسوء الحظ!

الفارس: ناثان — كيف؟ هل قبل ناثان الحكم الفاضل ان يزور صوت الطبيعة على هذا المنوال؟ وان يضلل انفعالات قلب

اذا تركت نفسها لاتخذت سبلًا تختلف تماماً عن هذه؟ —

يا داية على كل حال انت قد امنتني على شيء ذي اهمية ولا يخلو

من عاقبة وقد اذلهني — حتى اتي لا اعلم سيلماً لما يجب علي

١١٩

عمله. لذلك اتركي لي فرصة لافكر في الامر وانطلق! هو سيمـر من هنا ثانية وربما باغتنا انطلاقـي!

داية: ان ذهابـي يكون سبب موـتي .

الفارس: انا لا استطيع الان مخاطبـته ابداً. اذا التقـيـت به قولي له انتـا سـنـجـتـمـعـ مـعـاـ عـنـدـ السـلـطـانـ.

داية: لا تدع احدـاـ يلاحظـ انـكـ واجـدـ عـلـيـهـ . واكتـمـ هـذـاـ السـرـ حتـىـ النـهاـيـةـ لـكـيـ يـزـوـلـ عـنـكـ كلـ رـيـبـ يـمـسـ رـيـحـانـةـ وـعـنـدـماـ تـأـخـذـهـاـ الـىـ اـورـباـ لـاـ تـرـكـنـيـ هـنـاـ وـحـدـيـ .

الفارس: سـأـرـىـ رـأـيـ فيـ الـامـرـ . انـطـلـقـ الانـ انـطـلـقـ!

الفصل الرابع

النـظرـ الاـولـ

(المشهد: في رواق الدـيرـ).

(راهـبـ الدـيرـ وـبـعـدـ ذـلـكـ بـقـلـيلـ الفـارـسـ الـهـيـكـلـيـ).

الراهـبـ: لـقـدـ اـصـابـ الـبـطـرـيرـكـ لـقـدـ اـصـابـ حـقـاـ اـنـاـ لمـ اـنـجـحـ كـثـيرـاـ فيـ كـلـ ماـ ظـلـبـهـ اـلـيـ . — لـمـ اـذـلـكـ يـطـلـبـ اـلـيـ تـسـمـيـ اـشـيـاءـ كـهـذـهـ؟ اـنـاـ لـاـ اـرـيدـ اـنـ اـكـونـ خـبـيـثـاـ ظـرـيفـاـ لـاـ اـرـيدـ اـنـ اـغـرـيـ وـلـاـ اـرـيدـ اـنـ اـتـفـلـلـ

على كل شيء ولا اريد ان اتدخل في كل امر ، هل اعتزل الدنيا
واخلو بنفسي لكي اتدخل في امور غيري العالمية ؟
الفارس . (يقرب منه سرعة) ايها الراهب العزيز ها انت هنا وانا اطلبك
منذ مدة طويلة .

الراهب : اي اي يا سيد ؟

الفارس : اما عرفني بعد ؟

الراهب : بلى بلى ! ولكنني كنت اظن انتي لا ارى السيد بعد مدة
حياتي . و كنت ارجو من الله المحب ان لا يتحقق هذا . —

والله المحب يعلمكم كاتن قليلاً علي ما طلب الي تميمه مع
السيد الفارس . هو يعلم ايضا اذا كنت ارجو ان اجد لديك
اذنا صاغية وهو يعلم عظم فرح القلبى لانك رفضت بلا وجى
كل ما لا يليق بفروسيتك — ها قد اتيت وها قد ظهر تأثيره الان .

الفارس : هل تعلم لماذا اتيت ؟ قلما اعرف ذلك بنفسي .

الراهب : قد ترويت في الامر ووجدت ان البطريرك لم يخطىء وانه
مبعث اكتساب الشرف والمال . وان العدو هو عدو ولو عد
ملاً كنا ليس مرة بل سبع مرات . قد ترويت بهذا بكل معنى
الكلمة ولهذا اتيت ل تعرض ذاتك ثانية — يا الحى !

الفارس : ايها الرجل الصالح الصدق . كـ ق نوعاً انا لم آت هذا
السبب ولا اريد ان اخاطب البطريرك في هذا الصدد ايضاً .
انا لا ازال افتكر بتلك القضية كما كنت اظن ومهما كلفني الامر

لم ابغ ان اغير افكارى التي جذبها مرة " رجل مستقيم وصالح
وصادق . — انا اتيت فقط طالباً رأي البطريرك في امر ...
الراهب : هل تطلب رأي البطريرك ؟ فارس يطلب رأي اكيلر كي ؟
(ينظر حوله بمحاجة .)

الفارس : نعم — ان القضية مشبعة بالروح الاكيلرية .
الراهب : منها كانت الحال فالراهب لا يستشير الفارس بشيء منها
كانت المهمة مشبعة بروح الفروسيّة .

الفارس : بما ان للاكيلر كي الحق الاول في ان يفضل — الامر الذي
لا يحسده عليه من كان مثلنا — طبعاً لو كان على ان اعمل لنفسي
فقط ولو كان على ان اقدم حساباً عن ذاتي هل كنت بحاجة الى
البطريرك ؟ انا افضل القيام بعض الاشياء قياماً باطلاق طبقاً
لارادة غيري على ان اتمها جيداً طبقاً لاهاري . — وعلاوة
على ذلك اني ارى الدين حرباً والذي مع ذلك يظن انه لا
يتحرج لا يجاري احد بالتحزب دون ان يشعر بذلك . وبما ان
هذا حال الدنيا يظن هو ان هذا هو الصواب بعينه .

الراهب : افضل السكوت عن هذا لاني افهم قصد السيد فهماً تاماً .
الفارس : ارني ما هو من مای السلطة او المشورة ؟ — ومشورة صرفة ام
مشورة العلامة ؟ اشكرك ايها الراهب اشكرك لاجل الارشاد
الجيد ! — ماذا تقول ايها البطريرك ؟ انت بطريرك انا افضل
ان اسأل المسيحي بواسطة البطريرك على ان اسأل البطريرك
بواسطة المسيحي — والامر هو هذا ...

الراهب: لا تكمل يا سيد لا تكمل . لماذا ؟ — السيد يتتجاهلي . — كل من يعرف كثيراً يهتم كثيراً . وانا قد مدحت نفسي بسبب الاهتمام . — حسن ! اسمع ! انظر لحسن حظي ها هو آت هنالك بنفسه . ابقَ واقفاً هنا ! قد شاهدك !

المنظر الثاني

(البطيريك يصعد الرواق بكل ابهة اكابرية ومعه من مرؤوبيهم)

الفارس: انا اود ان اخلص منه . — الم يكن رجلي ! — برلاتا^(١) سينينا احمر اللون لطيفاً . يا لها من نفخة الراهب: يجب ان تراه سائراً نحو البلاط . هو راجع الان فقط من عيادة مريض .

الفارس: لا بد لصلاح الدين من ان يخجل منه !

البطيريك: (حين اقتربه يشير الى الراهب) هنا ! حقاً هذا هو الفارس الهيكلبي ماذا يريد ؟

الراهب: لا اعلم .

البطيريك: (يتقدم الى الفارس بينما الراهب والحاشية يتبعون عنه) والات ايها السيد الفارس ! — انا مسرور جداً لرؤيتي الشاب الشجاع ! — آه انه ما زال حدثاً — ويعونة الله سينجح في مقبل العمر .

(١) برلات رتبة اكابرية تعادل رتبة مطران

الفارس: ايها السيد المحترم يصعب الحصول على اكثر ما هو الان والارجح اني ساصبح اقل مما انا عليه الان . —

البطيريك: ان اقل ما ارجوه هو ان فارساً هيكلياً تقىأ بهذا المقدار سيترعرع ويزهو بجد الديانة المسيحية ومجده عمل الله . وما من مانع يعوق ذلك اذا اتحدت شجاعة الفياني مع مشورة الشيخوخة الناضجة — والا فعل اي كيفية يمكننا تقديم خدمة للسيد ؟

الفارس: بذات الامر الذي تفتقر اليه جدائي اي بالمشورة .

البطيريك: عن طيب نفس . — وقبول المشورة مرغوب فيه .

الفارس: ولكن ليس بلا ترو ؟

البطيريك: من ذا الذي يقول هذا ؟ — اجل لا يتحقق لاحد ان يهمل استخدام الادراك الذي وبه اياه الله في العمل الذي يحب استخدامه فيه . — يجب استخدام الادراك في كل مكان ؟ — لا لا مثلاً اذا اراد الله ان يُعلِّم لنا شيئاً بواسطة احد ملائكته يعني احد خدام كامته لخير كل المسيحية ولاغاء وتشييه خلاص الكنيسة على طريقة خصوصية فمن ذا الذي يتجرس بعد على امتحان تحكم الذي خلق الادراك بالادراك نفسه ؟ وان يمتحن ناموس اجاد السماء الاذلي بموجب انظمة المجد الفاني الصغيرة ؟ — كفى الان . — ما هو السبب الذي حمل السيد على ان اقدم رأيي فيه الان ؟

الفارس: ايها الاب الجليل لو فرضنا ان ليهودي ولداً وحيداً — ولو

فرضنا انها ابنة ربها بكل اعتناء في كل ما هو صالح وهو يحبها اكثرا من نفسه وهي تقابل ذلك بمحبتها لاياده اظهر حبه والان يسر الى احدنا ان هذه الابنة ليست ابنة اليهودي بل هذا التقطها في طفوليتها او ابتعاها او سرقها— ولنفرض ما زيد— والامر معلوم ان البنت ابنة اناس مسيحيين ومتصرفة واليهودي ثقفتها تقليقاً يهودياً . فلتركتها الان وشأنها كيهودية وكابنة— قل ايها الاب الفاضل ماذا يجب عمله في مثل هذا الموقف؟

البطريك: لقد اعترضتني قشريرة — ولكن ليعتبر السيد قبل كل شيء عن افكاره وليفصح عما اذا كان هذا الحادث حقيقة او تصوراً . اي ان السيد يتخيّل هذا فقط ام انه امر قد حدث وسيستمر حدوثه .

الفارس: اظن الامرين سواء وما هذا الا لاجل الاطلاع على افكار غبطتك!

البطريك: سواء؟ — ليـ السيد هنا كيف ان الادراك البشري المعتد بذاته يصل في الامور الروحية . — لا شك اذا كان الحادث الذي جرى مظهراً هزلياً فلا يستحق ان يفتكر به جداً . وبهذه المناسبة اشير على السيد بالذهاب الى المسرح حيث يتبااحث باستحسان تام في امور كهذه مع ذكر ما لها وما عليها من الادلة — وادا كان السيد لم يقصد بالتمثيل المسرحي السخرية بي

وادا كانت الحادثة حقيقة حدثت في اسقفتنا في اورشليم
مدینتنا المحبوبة عندئذ —
الفارس: وبعدئذ ماذا؟
البطريك: عندئذ يفضل تنفيذ القصاص الذي يعينه الحق البابوي
والقيصري في اليهودي جزاء قباحة وفظاعة كهذا .
الفارس: كهذا؟
البطريك: بناء على الحقوق المذكورة سابقاً يستحق اليهودي الذي
يقود مسيحياناً الى الجحود إبلة الحريق ونضد الحطب .

الفارس: كهذا؟
البطريك: وكم بالحربي اليهودي الذي يختطف ولدآ مسيحياً عسفاً من
الدين الذي تعمد عليه . الا يُعد كل ما يُصنع بالاولاد
عسفاً؟ — يعني : يستثنى من ذلك ما تعلمته الكنيسة نحو
الاولاد .

الفارس: ولكن لو فرضنا ان الشقاء اودى بالولد لو لم يشفق عليه
اليهودي؟

البطريك: لا بأس سيحرق اليهودي . — لأن هلاك الولد بؤساً يُعد
افضل من خلاصه على هذه الكيفية التي بها يهلك هلاكاً
ابدياً وفوق ذلك هل يحق لليهودي ان يتدخل في ما يريده الله؟
ان الله يستطيع ان ينجي اذا اراد ذلك بدون اليهودي .

الفارس: ايضاً رغمـ منه يجب ان اظن — انه يخلاص .

البطيرك: لا بأس! سيحرق اليهودي.

الفارس: أن هذا يؤثر علي! خصوصاً لأن الناس يتحدثون أنه لم يرب الآية على معتقده بل بلا معتقد ولم يعلمه عن الله لا أكثر ولا أقل مما يقتضيه الأدراك.

البطيرك: لا بأس سيحرق اليهودي... لهذا السبب فقط يستحق الموت حرقاً ثلاثة مرات! ماذا تقول؟ هو يربى ولداً ويدعه يشب بلا ادنى اعتقاد ديني؟ كيف؟ لا يعلم الولد واجب الاعتقاد الديني العظيم؟ يا للسخافة! - أني أتعجب جداً يا حضرة الفارس لانه حتى أنت....

الفارس: أيها السيد إذا أراد الله فما يبي سيقال امام كرسى الاعتراف (هنا يريد أن ينطلق)

البطيرك: ما هذا؟ أنت لا تصرح لي بواقعة الحال؟ لا تذكر لي اليهودي الخسيس؟ - لا تحضره امامي حالاً؟ - أنا لا اعدم حيلة - أنا انطلق حالاً إلى السلطان... - إن صلاح الدين بناء على الامتيازات التي يძקها يجب عليه أن يحافظ على جميع حقوقنا وتعاليمنا التي نعدها دوماً تابعة لديننا المقدس. الحمد لله الميثاق في حوزتنا... لدينا توقيعه وختمه... نحن! - أيضاً أنا ساقعه بسهولة أن الكفر خطير على الحكومة ان كل الروابط الاهلية تعد منحلة ومزقة الاوصال اذا لم يؤمن... الإنسان بشيء... - أبعدوا عني قباحة كهذه أبعدوها!...

الفارس: يا للخسارة التي لا استطيع ان التذر بالعظة البليغة بهدوء أفضل! أنا قد دعيت لاذهب إلى صلاح الدين.

البطيرك: نعم؟ - وبناء عليه - طبعاً - بعد ذلك.

الفارس: أريد أن أعدّ السلطان اذا امرت يا صاحب الغبطة.

البطيرك: اوّاه اوّاه - أنا اعرف ان السيد وجد نعمة عند صلاح الدين - ارجو ان اذكر عنده بالخير فقط - فالذي يحملني على ما انا عليه هو الغيرة الahlية فقط والنظر الذي يظهر في اعمالنا انا افعله لاجله... - وهذا ما ارجو من السيد الفارس ان يفكري فيه! - يمكنني القول ان ما ذكر سابقاً عن اليهودي مشكلة:

الفارس: مشكلة؟ (هو ينطلق)

البطيرك: وعلى ان اعمق فيه تماماً. يا بني هنا نواجه قضية يوافق تسليمها إلى الاخ (بونافيس) - (عند انطلاقه يخاطب راهب الدير).

الناظر الثالث

(المشهد: غرفة في بلاط صلاح الدين يشاهد فيها عبيد يحملون عدداً من اكياس المال يقصدونها في ارض الغرفة)

صلاح الدين وتلوه حالاً سته

صلاح الدين: (يحضر إلى المحل) حقاً ليس لهذا المشهد نهاية... - هل يبي الكثير منه؟

عبد : لا شك النصف بعد .

صلاح الدين : فاحملا ما بقي منه الى سته — اين يقيم الحافظ ؟
ان هذا الذي هنا يجب ان يأخذنـ الحافظ حالاً اليه . — ام بالحربي
ارسله الى والدي ؟ اذا بقي هنا يذر بلا جدوى — نعم ان
الانسان يصبح على مدى الايام قاسي الشعور ومن اراد ان
يحصل مني على مبالغ عظيمة يجب ان يكون حاذقاً جداً
(هنا يتكلم صلاح الدين مخاطباً نفسه ومظهراً احواله المالية كا هي) . وما على
الفاقة والفقير الا الصبر الى ان تصل الاموال من مصر على
الاقل ! — وعسى ان العطایا التي تقدم على القبر تستمر (١)
وعسى ان السياح المسيحيين لا ينطلقون بلا تقديم عطایاهم —

سته : وماقصد من هذا ؟ وما الغاية من وضع المال عندي ؟

صلاح الدين : انفق منه واحتفظ بما يفضل عنك .

سته : الم يحضر ناثان مع الفارس الميكي بعد ؟

صلاح الدين : هو يفتش عنه في كل مكان .

سته : انظر ماذا وجدت هنا عندما مسكت تحفتي القديمة ييدي
(وهنا ترثه صورة صغيرة .)

صلاح الدين : اوـاه اخي (٢) ! هو هو ! — اوـاه لقد كان ! لقد كان !

واحسرتاه ! — واحسرتاه ايها الفتى العزيز الشجاع يا من

(١) المقصود هنا الندور التي تقدم على قبر المسيح في القيمة .

(٢) هو اسعد اخو صلاح الدين ووالد الفارس الميكي .

فقدتك حديثاً . كثيرة هي الاشياء التي كنت اقدر ان اتمكن
من انجازها برقتلك جنباً الى جنب — يا سته اتركي لي الصورة .
انا عرفتها . هو كان قد وهبها اختك ليلي التي لم ترد ان تتركه
صباح يومٍ عندما كانت تضمه الى صدرها وكان هذا آخر
صباح خرج فيه ممتليطاً صهوة جواده — واحسرتاه ان ليلٍ كادت تموت
يحيطى صهوة جواده منفرداً — واحسرتاه ان ليلٍ كادت تموت
كآبةً ولم تصفح عن قط لاني تركته يخرج منفرداً وهو يحيط
جواده — ذهب ولم يرجع بعد ذلك ! —

سته : واحسرتاه عليك يا اخي !

صلاح الدين : لا تكرهوا شيئاً لعله خيراً ! — يوماً ما نغادر كلنا هذه
الديار ! وفوق ذلك من يعلم ؟ ليس الموت وحده يذهب بمرمى
شاب مثله ادراج الرياح . إن اعداءه كثيرو العدد واحياناً
كثيرة يسقط اقوى الجبارات كاضعف الضعفاء . — ومهما كان
امرها ! — لا بدلي من مقابلة الصورة بالفارس الميكي الحدث
وعليَّ ان ارى الى اي درجة خدعني وهي .

سته : وهذا احضرها فقط . لكن ردها الى ردها . انا استطيع ان
اخبرك عمما تريده لأن عين المرأة اقدر من كل مخلوق غيرها
على ادراك هذا .

صلاح الدين : (يقول لبواب دخل الى داخل) من هنا ؟ — هل الفارس
الميكي ؟ ليأتِ !

١٣٠

سته : لكي لا أزعجك ولكي لا اضله بكوني فضولية (مجلس متزويه على سرير وتحجب بالنقاب).

صلاح الدين . حسناً فعلت . حسناً ! — والان كيف يكون صوته يا ترى ؟ — ان صوت اسعد ما زال يرن في اذني .

المنظر الرابع

(الفارس المهيكل وصلاح الدين)

الفارس : انا اسيرك ايها السلطان ...

صلاح الدين : اسيري ؟ الا اهب الحرية ملـن وهبته الحياة ؟

الفارس : ما يليق يك عمله يليق بي سماعه اولاً وليس فرضه ! ولكن ايها السلطان لا يليق بمقامي وبطبيعي ان اقسم لك شاكرأ لاجل حياتي ولكنني على كل وجه اانا بين يديك الان .

صلاح الدين : لا تستخدمنها فقط ضدي ! — حقاً اانا اروم لعدوتي عن طيب نفس الحصول على عدد اكبر من الرجال لكنه يصعب علي جداً ان ارجو له الحصول على قلب كهذا . — ايها الشاب النبيل اانا لم اغتر بك فقط ! حقاً انت بكل معنى الكلمة اخي اسعد . اعلم اني استطيع ان اسأللك اين كنت مختبئاً طول هذه المدة ؟ في اي كف كنت تنام ؟ في اي بلاد جن ؟ واي جن . حسن الخصال ابق هذه الزهرة على الدوام غضة ؟ اعلم

١٣١

انا استطيع ان اذكرك ماذا كنا نعمل معاً هنا وهناك . انا استطيع ان اخاصلك لانك اخفيت عني سراً ولانك كتمت عنى حادثاً جلاً . — نعم اني استطيع ذلك عندما اشاهدك فقط ولو لم اكن بنفسي حاضراً وربما تحقق من هذه الاحلام الحلوة بهذا المقدار ، انه في شيخوختي سيرجع الي اخي اسعد — قل لي ايها الفارس هل انت مسرور من هذا ؟

الفارس : كل ما يحل بي بسيبك منها كان غاية مناي .

صلاح الدين : دعنا نجرب هذا حالاً . — هل تيقن عندي ؟ اكراماً لي ؟ — سيان عندي مسيحيأ كنت ام مسلماً . ارتديت جبة يضاء او معطفاً ، معمماً كنت ام لابساً لبدة يضاء اللون ، سواء عندي منها اردت انت انا لم اتظر فقط ان يتساوى جميع الناس .

الفارس : والا فلن تكون ما انت عليه الان اي البطل الذي يفضل ان يكون بستانياً في كرم الله .

صلاح الدين : من ثم اذا لم تعدني شرًّا تكون قد اصينا الان بعض الاصادة .

الفارس : تماماً !

صلاح الدين : (ما دا اليه يده) كلمة فقط ؟

الفارس : (يقطنه) هو رجل حقاً ! — قبل هكذا اكثراً ما كنت تستطيع اخذه مني . كلي لك !

صلاح الدين: اصبح الکسب اليومي كبيراً جداً . — الم يأتِ هو ؟
الفارس: من ؟

صلاح الدين: ناثان .

الفارس: (بفتوح) لا ، انا اتيت وحدى .

صلاح الدين: ياله من عمل ويا للحظ السعيد حتى ان عملاً كهذا كان
سيأله خير رجل مثله .

الفارس: نعم نعم !

صلاح الدين: امثل هذا الاستهثار ! — لا ليها الشاب اذا اراد الله
ـ عملـ شيء حسن على يدنا يجب ان لا تكون مستهترین حتى
ـ ولو كانت الحشمة رائداً لا يجوز ان نظهر عديمي المبالاة .

الفارس: عجباً كيف ان كل شيء على هذه الدنيا متعدد الميلول واحياناً
ـ كثيرة لا يستطيع الانسان ان يدرك كيف تتفق هذه الميلول !

صلاح الدين: تمسك دائماً بفضلها ومجده الله وهو يقدر ان يوقر بين
ـ هذه الميلول — واذا اتيت ليها الشاب إلا ان تكون صعب
ـ المراس فهل علي ان احضرك ؟ انا لسوء الحظ متعدد الميلول ايضاً
ـ وكثيراً ما يخلي اليـ ان هذه الميلول متباعدة .

الفارس: يا لها من حالة مؤلمة ! — لان الريبة ليست من نقائصي .

صلاح الدين: اخبرني اخيراً من ترتاتب ؟ يظهر ان الريبة التي تخامرك
ـ هي ضد ناثان . ماذا تقول ؟ ريبة ضد ناثان ؟ انت ؟ — افصح
ـ عما تقول ! تكلم ! هلمَ وقدِم لي اول برهان على ثقتك .

الفارس: ليس لي شيء ضد ناثان . انا غضبان على ذاتي .
صلاح الدين: ولا ياري سبب ؟

الفارس: لاتي رأيت في حلبي ان اليهودي يتکيف فيستطيع ان يتناسى
ـ انه يهودي هكذا تصور لي وانا في اليقظة .

صلاح الدين: افصح لي عن حلم اليقظة هذا !

الفارس: ايها السلطان انت سمعت عن ابنة ناثان وما عملته لاجلها قد
ـ عملته جبأ بالمساعدة . انا ارفع منـ ان اجني شكرآ حيث لم
ـ انتظره ولذلك كنت ارفض دوماً رؤية البنت ثانية ! والدها
ـ كان بعيداً هو يأتي هو يسمع هو يفتش هو يشكّر وهو يأمل
ـ ان ابنته ستأخذ بمجامع قلبي . هو يتكلّم عن الرجال وعنـ
ـ المستقبل باسمـ . — انا من يستمالونـ بالحديث لذلك اتيت
ـ ونظرت وحقاً وجدت ابنة ... او اوه ايها السلطان . يالخجل ...
ـ صلاح الدين: انت تخجل ؟ — لان ابنة يهودية ملكـت فؤادك ؟
ـ ولكن عسى ان لا يكون هذا ابداً فيما بعد .

الفارس: ويحيى انا الغي لان قلبي المتسرع لم يقاوم استهالة الوالد
ـ الخلابة الا قليلاً ! — لقد سرتُ ثانية وسط النار — فيينا انا
ـ ساعـ للحصول عليها أهنتـ .

صلاح الدين: أهنتـ ؟

الفارس: لا يرفضني الاب الحكيم بتاتاً بعد وعليه اولاً ان يستعلم
ـ ويفكرـ . على كل حال ! لم اعمل انا هذا ايضاً ؟ لم استخبرـ

وافكر عندما صرخت وسط النار؟ حقاً ان الحكمة والتيقظ

كلاهما جيل!

صلاح الدين: والآن الان! تأمل قليلاً في عقلية رجل شيخ. الى متى يستمرّ معه؟ هل يطلب اليك ان تصير يهودياً؟

الفارس: من يعلم!

صلاح الدين: من يعلم؟ — الذي يعلم طوایا ناثان حق العلم.

الفارس: ان الخرافات التي نسبت عليها لا تُفقد قوتها منا ولو عرفناها — وليس كل من يسهرزء بقيودها قد تحرر منها.

صلاح الدين: يا لها من ملاحظة ناضجة تمام النضوج! ولكن حقاً ناثان...

الفارس: ان ارداً الخرافات اعتقاد الانسان ان خرافاته اكثـر الخرافات احتمالاً...

صلاح الدين: ربما ذلك كذلك! ولكن ناثان...

الفارس: نعم ان العالم الاخر يثق بان خرافاته اكثـر الخرافات احتمالاً الى ان تتجلى له الحقيقة ناصعة.

صلاح الدين: حسن! ولكن ناثان! — ان نصيب ناثان ليس هذا الضعف.

الفارس: هكذا ظنت انا ايضاً!... اذا كان هذا النموذج البشري يهودياً وبهذه السفالة حتى انه يسعى للحصول على اولاد مسيحيين لكي يهودهم — فما قولك فيه اذا؟

صلاح الدين: من ذا الذي يتهم هذه التهمة؟

الفارس: الابنة ذاتها التي بها يجذبني والتي يريد ان يجعل تحقيق رجاءها مني عن طيب نفس لقاء ما لا يريد ان اكون قد عملته لها مجاناً. ان هذه الابنة ليست ابنته. هي ابنة مسيحية لقبيطة.

صلاح الدين: ومع ذلك لا يريد ان يعطيك ايها؟

الفارس: (بsegue) اراد ام لم يُرد لقد اكتشف امره. لقد اكتشف امر الثثار المتساهل! انا اعرف كيف اسلط على هذا الذئب اليهودي المرتد ثوب حمل كلاماً تنهشه.

صلاح الدين: (يظهر بمعرض الجد) ليهدا بالك ايها المسيحي!

الفارس: ماذا؟ ليهدا بالك ايها المسيحي؟ — اذا كان اليهودي والمسلم كلّ يتمتع بدینه الا يجوز لليسرياني ان يكون مسيحياً؟

صلاح الدين: (يظهر بمعظر الجد اكثر من السابق) ليهدا بالك ايها المسيحي!

الفارس: (مذعراً) اني اشعر بعبء العقاب الذي تمّ عنه عبارة صلاح الدين هذه. او اه ليتني اتمكن من معرفة تصرف اسعد في وقت كهذا.

صلاح الدين: ليس افضل بكثير وغالب الظن يكون متبيحاً هكذا تماماً ولكن من ذا الذي عليك ان ترشيني مثله بكلمة واحدة؟ طبعاً اذا كان كل شيء كما تقول لي فلا يمكنني ان اتفاهم مع ناثان... — ولكنه صديق ولا يجوز لاصدقائي ان يقاتل احدهم الاخر... —

اقبل الارشاد وسر على حذار ! ولا تعرضه لرحة الغوغاء المتهوسين . اكتم ما يريد اكليرسك ان يرغبي عليه فانتقم منه . ولا تظاهر بال المسيحية لكي تسخط اليهودي او المسلم .

الفارس : هكذا يكون قدرنا الوقت على تخلصه والآن شكرآ لتعطش البطريق الى سفك الدماء لأن هذا الامر هو الذي جعلني اشعر من ان اصير العوبة بين يديه .

صلاح الدين : كيف ? هل ذهبت الى البطريق قبل ان تأتي الى ؟
الفارس : ايها السلطان ارجو عفوكم ! لقد عملت هذا اثناء عاصفة الحق وزوبعة التردد — انا احاف انك لا تميز في شيئاً يشبه اسعدك .

صلاح الدين : ولم تكن هذه المخاوف نفسها لحيل الى اني اعرف الاغلاط التي نشأت منها فضائلنا . اعن بالفضيلة فقط لأن الاغلاط التي لي قلما تضر بك . لكن اتركني الان وانطلق وقش عن ناثان كا قتش هو عنك واحضره الى هنا . علي ان اوافق يينكا واذا كنت حقاً قد اسلست قلبك الى هذه الفتاة فليهدأ روعك فهي لك . وليدرك ناثان انه استطاع ترية ابنة مسيحية بدون تناول لم خنزير — انطلق !
(ينطلق الفارس المهيكل وتترك سته المجلس)

النظر الخامس

(صلاح الدين وسته)

سته : يا للعجب !

صلاح الدين : حسن يا سته الم يكن اسعدي شاباً نيلاً حسناً ؟

سته : اذا كانت الصورة تمثله هو وليس الفارس فكيف امكنك يا صلاح الدين ان تنسى الاستخار عن والديه ؟

صلاح الدين : وخصوصاً عن والدته التي لم تكن في هذه البلاد فقط ؟
اليس كذلك ؟

سته : بالصواب تكلمت .

صلاح الدين : لا مثيل له ! لأن اسعد كان عند السيدات المسيحيات الجميلات هكذا مقبولاً وهكذا يتوق اليهن حتى ان اشاعة انتشرت مرة ما — والافضل ان لا تتكلم عنها — كفاني لقد حصلت عليه ثانية وارحب بقبوله رغمما من نقاوصه وكل تقلبات مراججه الناجمة عن رقة قلبه ! — على ناثان ارن يعطيه الابنة ماذا تظنن انت ؟ (هنا يخاطب سته)

سته : يعطيها له ؟ يتركها له !

صلاح الدين : على كل حال ! ولكن اي سلطة لناثان عليها حالا لا يصبح والدها ؟ والذي انقذ حياتها له وحده الحق ان ينوب عنمن وهبها اياها .

سته : ما قولك يا صلاح الدين في اخذك الابنة حالاً اليك ؟ لتخالصها فوراً من مالكها غير الشرعي ؟

صلاح الدين : اتقضي الضرورة بذلك ؟

سته : لا تقضي الضرورة بذلك ! — التطفل هو الذي يحملني على ان اقدم لك هذا الرأي لاتي احب ان استطلع من بعض الرجال باقرب وقت مسটطاع صفات الابنة التي يستطيعون محبتها .

صلاح الدين : اذا ارسلي واستدعها !

سته : اخي هل يجوز لي ذلك ؟

صلاح الدين : راعي حالة ناثان فقط ! لا يجوز ان يظن انا نريد فصل الابنة عنه بالقوة .

سته : لا تهم !

صلاح الدين : اما انا فليـ اـ ان اجد اين يقيم الحافظ حتى الان .

المنظر السادس

(المشهد : يري الفنا المكشف الذي امام بيت ناثان مقابل شبر التخيل كما مر معنا في الفصل الاول من القسم الاول . وهنا يشاهد قسم من البضائع والمقتنيات الثمينة)

(ناثان وداية)

داية : كل شيء نفيس كل شيء منتبخ . هو حقاً كما يستطيع ان يقدمه من كان مثلك فقط . اين يحاك هذا القهاش الفضي ذو العطف

الذهبية ؟ كم ثمنه ؟ هو حقيقة عروس او لا ملك يطلب افضل منها ناثان : حلة عروس ؟ ولماذا حلة عروس ؟

داية : اجل انت لم تفكـرـ في ذلك عندما اشتريته . حقاً يا ناثان هذا وليس قهاش غيره ويظهرـ كانـهـ اوصـيـ عليهـ ليكونـ حلةـ عروسـ انـ لـحـتهـ اليـضـاءـ اللـوـنـ رـمـزـ الطـهـارـةـ وـالـخـيوـطـ الـذـهـبـيـةـ المـمـتـدـةـ علىـ كـلـ جـهـاتـ هـذـاـ الـوـضـعـ رـمـزـ الغـنـىـ الـأـتـرـىـ اـنـهـ آـخـذـ بـمـجـامـعـ القـلـوبـ ؟

ناثان : ما هذه التصورات التي تحوـكـينـهاـ ليـ ؟ الىـ ثـوبـ عـرـوـسـ مـنـ تـرـمـزـينـ باـسـلـوبـ عـلـيـ كـهـذاـ ؟ هلـ اـنـتـ عـرـوـسـ ؟

داية : اـنـاـ ؟

ناثان : منـ اـذـاـ ؟

داية : اـنـاـ ؟ يـاـ الـهـيـ !

ناثان : منـ اـذـاـ ؟ عنـ ثـوبـ ايـ عـرـوـسـ تـكـلـمـينـ ؟ هـذـاـ كـلـ خـاصـتكـ وليسـ لـاحـدـ غـيرـكـ !

داية : خـاصـيـ ؟ هوـ خـاصـيـ ؟ الـيـسـ لـرـيحـانـةـ ؟

ناثان : انـ مـاـ جـلـبـتـهـ مـعـيـ لـرـيحـانـةـ هوـ فيـ رـزـمـةـ اـخـرىـ . تعـالـيـ ! اـبعـديـ مـقـتـنـيـاتـكـ ! اـحـمـلـهاـ !

داية : لاـ اـيـهاـ الـجـربـ اـيـ لاـ اـمـسـ كـلـ نـفـائـسـ الـعـالـمـ اـذـاـ لمـ تـقـسـمـ لـيـ اوـلاـ اـنـكـ سـتـغـنـمـ هـذـهـ الفـرـصـةـ النـادـرـةـ اـيـ لاـ تـجـودـ عـلـيـ السـماءـ بـمـثـلـهاـ ثـانـيـةـ .

ناثان: اغتنم؟ ماذ؟ — الفرصة؟ ماذ؟

داية: اوَاه لا تتجاهل الامر هكذا! وبعبارة مختصرة الفارس واقع في حب ريحانة. اعطه ايها وهكذا يقضى على خططيك (١) التي لا اقدر ان اكتملها مدة اطول بعد وهكذا تعود الابنة الى حظيرة المسيحية وترجع الى اصولها اما انت فالنظر الى كل الاعمال الجيدة التي لا نستطيع ان نكاففك عليها كما يجب فلا تجمع جمر نار على رأسك خسب.

ناثان: التعدين الحكاية ذاتها بنغم جديد؟ خال من الطلاوة والاتزان.
داية: ماذ تقول؟

ناثان: يعجبني الفارس. واحد الى من كل واحد غيره ان تكون ابتي ريحانة رفقة حياته. عليك بالصبر.

داية: صبراً؟ اليك الصبر نعمك القديم؟

ناثان: انتظري بضعة ايام فقط... انظري! — من هو الآتي هناك؟ هو راهب؟ اذهي واسأليه ماذ يريد.

داية: ماذ يروم يا ترى؟ (هي تقرب منه وتسأله).
ناثان: اعطه حسنة قبل ان يطلبها! لستي اتمكن من الاقتراب من الفارس دون ان اخبره عن الباعث على تطلي. لانتي لو اطلعته عليه وكان سيء الظن بغير مسبب تكون مغامرتي بحقوق الاب بلا داع. — لا بأس.

(١) تعني هنا انه ارتكب خطية لانه تبنى ابنة مسيحية.

داية: يريد ان يكلمك.

ناثان: دعيه يأتي واطلقي الان.

المطر السابع

(ناثان وراهب الدير).

ناثان: اتمنى من كل جوارحي ان ابقى باريحانة. — ماذ لا تستطيع ذلك. وكيف تستطيع ذلك عندما لا اعود ادعى بهذا الاسم؟ — ولكنني سأشتمر اباها. ليتها تعلم عظم حبي هذا. — اطلق! قل لي ايها الراهب البار اي خدمة تريد ان اقدمها لك؟
راهب: ليس الا القليل. — انا مسرور ايهما السيد ناثان لاني وجدتك بصحة جيدة.

ناثان: اذاً انت تعرفي؟

راهب: من ذا الذي لا يعرفك؟ ان اسمك معروف لدى كثيرين من ارباب الحاجات ومنذ عدة سنين لدى ايضاً.

ناثان: (مادا يده الى حقيقته) تعال ايهما الاخ تعال انا اريد تجديد ذلك.
راهب: شكرآ لك. انا لا آخذ شيئاً لثلا اسرقه من هم احوج مني.
ايندلي فقط كي اعيد لك ذكرى اسمي لانني استطيع ان افترخ انتي وضعت ايضاً بين يديك شيئاً لا يستهان به.

ناثان: ارجو عفوك! — انا خجل — قل ما هو؟ — واقبل مني كفاره عن ذلك سبعة اضعاف قيمته.

الراهب: اسمع قبل كل شيء كيف اتي ذكرتك اليوم فقط بوديعي الموكولة اليك.

ناثان: الوديعة التي إأتمتني عليها؟

الراهب: قبل زمن قصير سكنت كناسك في صومعة ناسك على جبل التجربة بالقرب من اريحا فهاجمني لصوص من البدو وهدموا بيت عبادي الصغير وصومعتي واسروني ولحسن حظي نجوت منهم وهررت الى هنا الى البطريرك متسلماً منه محلاً آخر اتمكن فيه من عادة المي منفرداً حتى ساعة نهايتي السعيدة.

ناثان: انا على احرّ من الجمر ايه الاخ الجليل. اختصر الكلام! ما هي الوديعة المسلمة لعنائي؟

الراهب: حالاً يا سيد ناثان. — ان غبطه البطريرك قد وعدني بالحصول على اول صومعة ناسك على جبل طابور حالاً عندما تخلو واحدة وصدر امره اثناء ذلك ان اقيم في الدير كاخ عامي وانا الان هنالك ايه السيد ناثان. واطلب يومياً نحو مئة مرة كي اذهب الى طابور لان غبطه البطريرك يستخدمني في اشياء متعددة تعافها نفسى كثيراً. مثلاً...

ناثان: ارجو منك ان تسرع!

الراهب: هاك الامر! — شخص ما همس اليوم في اذني البطريرك ان يهودياً مقيناً في جوارنا يربى ابنة مسيحية لتكون ابنته له.

ناثان: ماذا؟ (هو يشعر ان الكلام موجه اليه)

الراهب: دعني اتم حديثي! — قد تنبه ضميري بعنته عندما كلفني البطريرك ان اقفي رأساً اثر هذا اليهودي وقد احتمم غيظاً لانه يعد جرماً كهذا خطية ضد الروح القدس. — اي الخطية التي نعدها اعظم الخطايا ولكننا والحمد لله لا نعلم تماماً ما هي هذه الخطية. وبعنته افاق ضميري فبدالي اني بكرت في ارتکاب هذه الخطية التي لا تغفر — اصدقني الخبر الم يحضر لك قبل ثمانى عشرة سنة احد الاتباع (سايس) رضيعة لا يتجاوز عمرها بضعة اسابيع؟

ناثان: ما هذا؟ هذه هي الحقيقة — اجل هذه واقعة الحال —

الراهب: تفوس في جيداً! — انا هو التابع.

ناثان: انت هو؟

الراهب: اذا لم تخني الذاكرة فان الفارس الذي جلبت الطفلة من قبله كان فن فلنك — ولف فن فلنك!

ناثان: اصبت!

الراهب: لان والدتها ماتت قبل ذلك بمدة يسيرة ولأن اباها تقهر بعنته الى غزة الى حيث لم تقدر ان تتبعه هذه المته وهكذا ارسلها والدها اليك. الم اقابلتك وهي معك في دارون?(١)

ناثان: هذه هي الحقيقة.

(١) يذكر شكسبير في روايته «هملت»، ان دارون كانت قرب جت (Gath)

الراهب: لا عجب اذا خاتبني ذاكري لقد خدمت فرساناً شجاعاناً كثيري العدد اما هذا الفارس فلم اخدمه الا وقتاً قصيراً وبعد ذلك اقام في عسقلان وكان سيداً لطيفاً.

ناثان: نعم كان كذلك حقاً وانا مدين له كثيراً لانه انقذني غير مرّة من حد السيف.

الراهب: حسن وهذا تكون قد سرت اكثراً بالاعتناء بابنته.

ناثان: يمكنك ان تتفكر بذلك.

الراهب: اين هي اذا؟ عسى انها لم تمت؟ — الافضل ان تسلم انها لم تمت! — واذا لم يطلع احد على حقيقة حالها فان كل شيء يؤول الى الخير.

ناثان: هل يؤول ذلك؟

الراهب: ثق بكلامي يا ناثان! ان هذه هي نظرتي! اذا كان العمل الحسن الذي أريد عمله له صلة تامة بما هو وردي، افضل ترك العمل الحسن لاننا نعرف الاعمال الرديئة تمام المعرفة بخلاف ما هو حسن فاتنا قليلاً ما نراه واضحاً تمام الوضوح. — اجل ان تربى ابنته المسيحية تربية جيدة جداً او معاملتك ايها كابنتك يُعد امراً طبيعياً وانت قد عيّلت هذا بمحنة وامانة تامة. فهل تتحاصل على هكذا؟ انا لا افهم عدالة هذا التصرف. طبعاً تصرفك كان يُعد اكثراً حصافة لو ربيت المسيحية تربية مسيحية على يد مسيحية ولكنك في هذه الحالة لم تكن تحب

طفلة صديقك. ان الاولاد يحتاجون في هذا العمر الى محبة اكثر من الديانة المسيحية حتى ولو كانت محبة حيوان بري. انه يبقى وقت كثير لتعلم الديانة المسيحية واذا نمت الابنة في عينيك بالصحة والتقوى ستبقى في عيني الله كما كانت. لم تؤسس الديانة المسيحية كلها على اليهودية؟ وقد تقدرت مراراً كثيرة وسكبت دموعاً غزيرة لان المسيحيين استطاعوا ان ينسوا ان خلصنا نفسه كان يهودياً.

ناثان: ايها الاخ العزيز يجب ان تكون شفيعي عندما تقاومي الكراهة والرياء لاجل حادث. او ايه لاجل حادث انت قط تقدر ان تعرفه ولكن يجب ان تحفظه سراً حتى ماتك ولم يحربني الزهوة فقط كي اظهروا لاحداً. انا احكى لك فقط. انا احكى فقط للبساطة الورعه لانها هي وحدها تدرك اي اعمال يستطيع عملها الانسان الذي يحب الله.

الراهب: قد تأثرت عواطفك واغرورقت عيناك بالدموع؟

ناثان: قد جئت الي تحمل الابنة في دارون. انت ربها لا تعلم ان المسيحيين قبل ذلك ب أيام قليلة قتلوا جميع اليهود النساء والولاد ولا تعلم ان امرأة وجدت بينهم صحة سبعة ابناء كلهم آمال وأحرقوا معاً في دار اخي الى حيث الجهنم.

الراهب: يا اعدل العادلين!

ناثان: كان لي عند حضورك ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ باكيًا مطروحاً في

الرماد والتراب امام الله ونصارعت معه واحتدمت غيظاً وهرتتُ ولعنتُ نفسي وكل الخليقة واقسمتُ البغضاء التي لا كفارة لها ضد المسيحية.

الراهب: اوَاه استطاع ان اصدقك.

ناثان: الا ان التعقل عاد تدرِّجاً فتكلم بصوت دقيق. حقاً ان الله موجود وهذا كان قضاء الله: هل اذاً ما مارس ما قد ادركه منذ مدة طويلة. حقاً اذاً كنت تروم ذلك تجده مارسته ليست اصعب من ادراكه. انها فهضت وصرخت الى الله: «انا اريد اذا شامت مشيتك». — عندئذ نزلت عن الجواد وسلمتني الطفلة المقطمة بعيانتك لقد نسيت الحديث الذي تبادرناه في حينه وهذا كل ما اعرفه بعد. انا اخذت الطفلة وحملتها الى مقرتي ثم قبلتها وجوهت على ركبتي وشهقت قائلة: يا الله لقد اعددت لي طفلة تعويضاً عن السبعة الآخرين.

الراهب: يا ناثان. يا ناثان انت مسيحي؟ قسماً بالله انت مسيحي! لم ير العالم قط مسيحياً افضل!

ناثان: يا للسرور! ان ما يجعلني مسيحيآ في عينيك يجعلك يهودياً في عيني. — كفى لا تدعنا فقط يلطف الواحد منا شعور الآخر. الحاجة هنا الى العمل. ومع ان الحجة السباعية ربطني حالاً بهذه الابنة الوحيدة الغريبة ومع ان مجرد الافتخار بان فقدي ايها هو بمثابة فقدني ابني السبعة مرّة ثانية فإذا شامت العناية الالهية المطالبة بها ثانية فانا أطيع!

الراهب: سر بنا الان! — هذا ما فكرت به كثيراً كي اشير به عليك وهكذا الهمك اليه روحك الطيب.

ناثان: الا انه لا يجوز ان يخطفها مني اول من تسوهه الى التقادير.
الراهب: لا. حقاً لا.

ناثان: من ليس له فيها حقوق اعظم من حقوقك يجب عليه ان يبرهن على الاقل على حقوق سابقة لحقوقك —
الراهب: طبعاً.

ناثان: منحته ايها الطبيعة والدم.

الراهب: هذا هو رأي ايضاً.

ناثان: اذكر لي لهذا السبب الرجل الذي يتصل بها بصلة القرابة كاخ او عم او ابن عم او كفريب يتمنى الى عائلتها. انا لا امنعه منها. — هي التي خلقت وثقت لتكون زينة كل منزل وكل معتقد. — انا ارجو افك تعلم عن سيدك هذا وعن سلالته اكثر مني.

الراهب: بكل صعوبة يا عزيزي ناثان لانك قد سمعت أنتي وجدت مدة قصيرة في خدمة الفارس.

ناثان: الا تعلم على الاقل من اي سلاله كانت والدتها؟ الم تكن من سلاله اشتوفن؟

الراهب: ربما — نعم يظهر لي الامر كذلك.

ناثان: الم يدع اخوها كنراد فن اشتوفن؟ او لم يكن فارساً؟

الراهب: أَصْغِ إِلَيْـ . أنا أَتَذَكَّرُ إِذَا لَمْ تَخْنِي الْذَّاكِرَةُ أَنْ لَدِيَ كِتِيَّـ بَعْدَ
مِنْ الْمَغْفُورِ لِهِ سِيدِي الْفَارِسِ . أَنَا اَنْتَشَلَتُهُ عَنْ صَدْرِهِ عَنْدَمَا
دُفِنَاهُ فِي عَسْقَلَانَ .

ناثان: ما قولك به؟

الراهب: هو يحتوي على صلوات، نحن ندعوه سواعية . — أَنَا
ظَنَنْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُسْكِيِّ يُسْتَطِعُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهِ بَعْدَ — أَمَا إِنَّا
فَلَا، لَأَنِّي أُمِّيَّـ

ناثان: لا بأس — عُدْ بِنَا إِلَى الْمَوْضُوعِ .

الراهب: قد قيل لي أنَّ اسْمَاءَ جَمِيعِ أَقْرَبَاءِ الْفَارِسِ وَاقْرَبَاءِ امْرَأَتِهِ مُكْتَوَيَةٌ
فِي أَوْلَى الْكِتَابِ وَفِي اخْرَهِ بَخْنَطُ الْفَارِسِ بِالْبَذَاتِ .

ناثان: هذا هو المطلوب ! انطلق وسر مسرعاً واجلب لي الكتيب .
أَنَا مُسْتَعْدَدُ أَنْ أَقْدِمَ لَكَ الشَّكْرَ الْفَمْرَةَ عَلَوَةً عَلَى ثَقْلِهِ ذَهَبًا .
اسرع انطلق !

الراهب: عن طِيبِ نَفْسِـ وَلَكِـنـ ما كَتَبَهُ الْفَارِسُ فِي دَاخْلِهِ كَتَبَ
بِحُرُوفِ عَرِيَّـةـ . (هَنَـيـنـهـ)

ناثان: لا بأس ! احضره ! احضره فقط يا الهـيـ ! لـيـتيـ اـحـفـظـ بـعـدـ
بـالـآـبـةـ وـاـبـاتـعـ لـهـ صـهـراـ مـثـلـهـ ! — لـاـ شـكـ أـنـ هـنـاكـ صـعـوبـةـ فـيـ
تـحـقـيقـ ذـلـكـ ! — وـلـكـ النـتـيـجـةـ كـائـنـةـ مـاـ كـانـ ! — مـنـ ذـاـ الـذـيـ
هـمـسـ فـيـ اـذـنـ الـبـطـرـيرـكـ شـيـئـاـ مـثـلـ هـذـاـ ? عـلـيـ اـنـ لـاـ اـنـسـىـ
الـأـسـفـسـارـ عـنـ ذـلـكـ — وـلـوـ كـانـ مـصـدـرـهـ دـاـيـةـ .

المنظر الثامن

(داية وناثان)

داية: (سرقة متزحمة) تأَمَّلْ يَا نَاثَانْ !
نَاثَانْ: مَاذَا حَدَثْ ؟

داية: رَبِّـا ارْتَعَبَتِ الْأَبْنَةِ الْمُسْكِيَّـةِ ارْتَعَبَـا شَدِيداً بِسَبَبِ ذَلِكَ ! ثُمَّ أَتَـ
رَسُولُـمِنْ قَبْـلـ ...

نَاثَانْ: الـبـطـرـيرـكـ ؟
داية: شـيـقـقـةـ السـلـطـانـ الـأـمـيـرـةـ سـتـهـ ...

نَاثَانْ: الـبـطـرـيرـكـ ؟

داية: لـاـ سـتـهـ ! لـاـ تـسـمـعـ ؟ الـأـمـيـرـةـ سـتـهـ اـرـسـلـتـ وـاـسـتـدـعـتـهـ إـلـيـهاـ .
نَاثَانْ: مـنـ ؟ تـسـتـدـعـيـ رـيـحـانـةـ ؟ سـتـهـ تـسـتـدـعـيـهاـ ؟ مـاـ عـلـمـ اـذـاـ
كـانـتـ سـتـهـ تـسـتـدـعـيـهاـ وـلـيـسـ الـبـطـرـيرـكـ .

داية: مـاـ الـذـيـ يـجـعـلـكـ تـفـكـرـ بـالـبـطـرـيرـكـ ؟
نَاثَانْ: مـلـمـ تـسـمـعـ عـنـ شـيـئـاـ مـنـدـ عـدـ قـرـيبـ ؟ يـقـيـنـاـ لـاـ ؟ مـلـمـ تـبـوحـ لـهـ
إـيـضاـ بـشـيـءـ ؟

داية: اـنـاـ لـهـ ؟

نَاثَانْ: اـيـنـ الرـسـلـ ؟

داية: اـمـامـ الـمـنـزـلـ .

نَاثَانْ: حـيـطـةـ اـرـيدـ اـنـ اـخـاطـبـهـ بـنـفـسـيـ . تـعـالـيـ ! عـسـىـ اـنـ لـاـ يـكـونـ
لـبـطـرـيرـكـ يـدـ فيـ الـمـسـأـلـةـ (هـنـاـ يـنـطـلـقـ)

لقد وصلت القافلة سالمة من القاهرة وهي حاملة مكوس سبع
سنوات من وادي النيل الغني ...
صلاح الدين: مرحى يا ابرهيم ! ايها الرسول حقاً انا ارحب بك ! —
لقد اتيت اخيراً ! — شكرآ لك على الاخبار الجيدة .
المملوك: (متظرأو مخاطباً نفسه) والان ؟ ادفعوا !
صلاح الدين: لماذا تنتظر ؟ — انطلق !
المملوك: يحصل الرَّسول على الترحيب ليس إلا ؟
صلاح الدين: وماذا غير هذا ؟
المملوك: الا تقدم عظيمة للرسول البشير ؟ وهكذا اكون انا اخيراً اول
من كافأه صلاح الدين بمجرد الكلام ? — يا له من شرف —
هو اول شرف ساوم عليه .
صلاح الدين: خذ لك كيساً من هنالك .
المملوك: لا ليس الان ! ولو وهبني ايها كلها .
صلاح الدين: يا للصلابة ! — تعال الى هنا ! ها اثنان لك . — غير
هازل ؟ هو يذهب ؟ هل يفوقني نبلاء ؟ — وما لا ريب فيه
ان الرفض اشق عليه من العطاء لدي . — ما الذي جرى لي
يا ابرهيم حتى اتي في مدة قصيرة قبل دنو اجلي اصبحت بعنة
شخصاً آخر ؟ اي احب الاقتصاد ، اذا لم يرد صلاح الدين ان
يموت كصلاح الدين فلا يجوز ايضاً ان يعيش كصلاح الدين .
مملوك آخر: والان ايها السلطان ! ...

داية: انا لا ازال متيبة امراً آخر بعد . ما هو ؟ ابنة وحيدة يُظن انها
ابنة يهودي غريب جداً تليق حقاً بمقام رجل مسلم . سرعاً .
لقد فقدتها الفارس . لقد فقدتها اذا لم اقدم على الخطوة الثانية
ولم اكشف لها القناع لاخبرها من هي ! — إطمئن بالاً ! اني
ساستخدم اول لحظة اختيلي فيها بها لهذا الغرض . وربما كانت
هذه اللحظة عندما اشيعها . انا لا اري ضرراً من الاماع الى
هذا اثناء سيرنا . اجل ! الى الامام ! اما الان والا فلا ابداً .
الى الامام ! (هي تتبعه)

الفصل الخامس

المنظار الاول

(المشهد: غرفة في قصر صلاح الدين الى حيث حللت اكياس المال التي ما تزال ترى هناك)
(صلاح الدين وحالاً بعده بعض المالك)

صلاح الدين: (انته دخوله) ما زال المال مطروحاً هنا . وليس من
يستطيع ان يجد الدرويش هو ربما يلعب الشطرنج في محل ما
وهكذا نسي نفسه فلماذا لا ينساني انا ؟ صبراً ! (يغاطب احد المالك)
اطلعني على الاخبار الاخيرة التي لديك .

احد المالك: ايها السلطان لدى اخبار مرغوب فيها . اخبار بهجة ...

بِمَالِكِ كَهْوَلَاءِ؟ إِلَيْهِ يَقُولُ إِنْ أَفْتَرَ إِنْهُمْ اقْتَفَوْا مَثَلِيِّ؟
— لِتَسْقُطِ الْآرَاءِ الَّتِي تَرْمِي إِلَى تَدْرِيْبِهِمْ أَخْيَرًا عَلَى مَا لَمْ يَعْتَدُوهُ
الْمَلُوكُ ثَالِثٌ: إِلَيْهَا السُّلْطَانُ . . .

صَلَاحُ الدِّينِ: أَنْتُ الَّذِي سَقَطَ عَنِ الْجَوَادِ؟
الْمَلُوكُ ثَالِثٌ: لَا إِنِّي فَقَطُ ارْفَعُ إِلَى اعْتَابِكُمْ أَنَّ الْأَمِيرَ مُنْصُورًا قَائِدَ
الْقَافِلَةَ قَدْ نَزَلَ عَنْ جَوَادِهِ . . .
صَلَاحُ الدِّينِ: أَحْضَرَهُ سَرِيعًا! هَاهُو!

المنظار الثاني

(الْأَمِيرُ مُنْصُورٌ وَصَلَاحُ الدِّينِ)

صَلَاحُ الدِّينِ: أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْأَمِيرِ! أَخْبَرْنَا عَنْ أَحْوَالِكَ يَا مُنْصُورِ
لَقِدْ جَعَلْتَنَا نَتَظَرُ قَدْوَمَكَ طَوِيلًا بِفَارَغِ صَبَرِ.
مُنْصُورٌ: أَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَخْبِرُكَ عَنِ الاضْطَرَابِ الَّذِي أَخْمَدَهُ أَبُو قَاسِمُ
فِي طَبَائِيسِ (١) قَبْلَ أَنْ تَجْهَسِرَنَا عَلَى الْمَسِيرِ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْلَتْ سَيِّرَةِ
الْقَافِلَةِ بِقَدْرِ الْمُسْتَطَاعِ.

صَلَاحُ الدِّينِ: أَنَا أَصْدِقُكَ! أَخْذُ مَعَكَ إِيَّاهَا الْعَزِيزِ مُنْصُورٌ خَفْرًا
جَدِيدًا. خَذْهُ حَالًا. أَنَا أَخْالُكَ تَفْعَلُ هَذَا عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ،

صَلَاحُ الدِّينِ: إِذَا كُنْتَ قَدْ حَضَرْتَ لِكِي تَخْبِرَنِي . . .
مُلُوكُ آخَرُ: إِنْ قَافِلَةَ مَصْرَ قَدْ حَضَرَتْ!
صَلَاحُ الدِّينِ: قَدْ بَلَغْنِي الْخَبْرِ.

مُلُوكُ آخَرُ: إِذَا حَضَرْتَ مُتأخِّرًا!
صَلَاحُ الدِّينِ: لِمَذَا مُتأخِّرًا؟ خَذْ جَزَاءَ حَسَنِ نِيَّتِكَ كَيْسًا أَوْ كَيْسَيْنَ
مِنَ الْمَالِ.

مُلُوكُ آخَرُ: وَاحِدَ وَاثَنَانِ تَعَادِلُ ثَلَاثَةِ!
صَلَاحُ الدِّينِ: أَجَلْ إِذَا كُنْتَ تَسْتَطِعُ الْحِسَابَ بِخَذْهَا!
مُلُوكُ آخَرُ: سَيَحْضُرُ رَسُولُ ثَالِثٍ إِذَا اسْتَطَاعَ الْحَضُورِ.
صَلَاحُ الدِّينِ: مَاذَا تَعْنِي؟

مُلُوكُ آخَرُ: هَكَ الْأَمْرُ! هُوَ رَبِّيَا دَقَّ عَنْهُ لَانْتَا عِنْدَمَا تَأْكِدُنَا نَحْنُ
الثَّلَاثَةِ مِنْ وَصْولِ الْقَافِلَةِ تَفَرَّقَنَا جَمِيعًا حَالًا بِسْرَعَةِ وَالَّذِي كَانَ
فِي طَلِيعَتِنَا سَقَطَ عَنِ الْجَوَادِ إِلَى الْأَرْضِ وَهَكُنَا سَرْتُ فِي
الْطَّلِيعَةِ وَبَقِيَتْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ وَصَلَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ حِيثُ يَعْرُفُ
إِبْرَاهِيمَ الْمَغْيَرَ الْأَرَقَةَ أَفْضَلُ مِنِّي.

صَلَاحُ الدِّينِ: أَوْاهُ عَلَى مِنْ سَقَطَ عَنِ الْجَوَادِ. يَا صَاحِبَ ارْكَبِ
جَوَادِكَ وَسِرِّ مَلَاقَاتِهِ . . .
مُلُوكُ آخَرُ: سَافَعْلَكَ ذَلِكَ . . . وَإِذَا كَانَ حَيًّا فَصَفَ هَذَا الْكَيْسُ لَهُ . . .
(يَطَّلِق)

صَلَاحُ الدِّينِ: يَا لَهُ مِنْ زَوْلٍ حَسَنُ نِيلِ! — مِنْ يَسْتَطِعُ إِنْ يَتَبَاهِي

عليك ان تواصل سيرك حالاً لانه يطلب اليك ايصال القسم
الاكبر من المال الى والدي المقيم في لبنان.
منصور: سمعاً وطاعة!

صلاح الدين: على كل حال لا يجعل خفرك ضعيفاً. لأن الامن في
لبنان غير مستتب تماماً. ألم تسمع ذلك؟ والفرسان الهيكليون
يزحفون مجدداً. كن على حذر! — تعال! اين تقيم القافلة؟
اريد مشاهدتها وحملها على الاسراع. اعلموا اني ساكون
بعدئذ عند سته.

المنظر الثالث

(المشهد: اشجار التخليل امام منزل ناثان حيث يسير الفارس وحده جيئة وذهوباً وهو
يتحاطب نفسه قائلاً):

انا لا اريد الدخول الى البيت. — لانه سيري في آخر الامر. —
لقد اعتادوا ان يروني سريعاً جداً! — انا سأرى بعد انه
سيحرم علي وجودي المستمر امام منزله. — اواه انا متذكر
جداً! — ما الذي كدرني منه الى هذه الدرجة؟ هو قال انه
لا يرفض لي طلباً وصلاح الدين اخذ على نفسه ان يقنعه. —
ما هي الحقيقة؟ هل الروح المسيحي متصل فيه حقيقة اكثـر
من تأصل الروح اليهودي فيه؟ من يعرف ذاته حق المعرفة؟

كيف لا يمكنني ان اسرّ معه بالسرقة الحقيرة التي وضع على
عاتقه اعتسافها من المسيحيين؟ طبعاً ان مخلوقاً كهذا لا يعد سرقة
حقيرة! — مخلوق؟ يخصن من؟ على كل وجه ليس خاصة
العبد الذي عوم بخدمة الخطب على شاطيء الحياة المفتر وولى
هارباً؟ بل هي بالحربي خاصة الفنان الذي تخيل في الجذمة
المطروحة الصورة الالهية التي صاغها؟ واحسر تاه! ان والد
ريحانة سيق الى الابد اليهودي رغمما من المسيحي الذي اتجها.
تكلم ايها القلب ما الذي يدرك لو تصورتها فقط ابنة مسيحية
 مجردة من كل ما يمكنني تصوره مما يستطيع ان يهبه ايها يهودي
فقط؟ لا شيء! النزر القليل! حتى ان ابتسامتها ليست الا
ارتفاع عضلاتها اللطيف الجميل وما يحملها على الابتسامة لا
يستحق الافتتان الطالي تغزها لا ولا ابتسامتها! لقد شاهدتُ
في اللحم والمذر والازدراه والمداهنة والفنج تبذرآ في الابتسام
اجمل من ابتسامتها. هل قتنتي بهذه الابتسامة؟ هل حرّكت
في الرغبة كي اقضى حياتي مرفقاً في اشعة شمسها؟ لست ادرى.
هل انا متقلب مع الذي وهبها هذا القدر السامي؟ كيف هذا?
لماذا؟ هل استحق الازدراه الذي قابلني به صلاح الدين عندما
عزّزني؟ يا للعار اذا كان صلاح الدين يصدق ذلك! فما احاط
مقامي في عينيه! وما اذلني! وكل ذلك بسبب ابنته؟ —
يا كورد— يا كورد هذا لا يليق استيقظ! ثم لو فرضنا ان داية

الراهب: اما البطاركة و فرسان الهيكل ...

ناثان: فلا يستطيعون ابداً ان يصنعوا بي شرآ كثيراً الى درجة أحمل بها على الندامة على اقل عمل عمله و علاوة على هذا هل متأنّكم انت تماماً ان فارساً هيكلياً يُعرّي بطريرككم؟

الراهب: اظن ان ليس احد غيره لان احد الفرسان الهيكلين تكلم قبل مدة قريبة.

ناثان: ليس الان الا واحد فقط في القدس. انا اعرفه وهو صديقي وما زال حديث السن و نيكلاً كريماً.

الراهب: هو هو كما قلت! — لكن خلق الانسان وكيفية تصرفه في العالم لا يجتمعان دائمآ معاً.

ناثان: لسو الحظ لا — فليعمل كل ما يشاء حسب منتهاه خيراً كان ام شراً. ايها الاخ انا استطيع بكتابك ان اقهرهم جميعاً. انا ذاهب به تواً الى السلطان.

الراهب: ارجو لك التوفيق التام. اريد وداعك هنا.

ناثان: انت لم ترها بعد؟ لا تتأخر عن العودة مكرراً رجوعك اليانا. عسى ان لا يطلع البطريرك على شيء اليوم! — ولكن ما العمل؟ قل له اليوم ما تشاء.

الراهب: انا لا... وداعاً (ثم ينطق)

ناثان: لاتنس ايها الاخ. — يا الهي ليتني استطيع ان اجشو حالاً على ركبتي تحت القبة الزرقاء! لقد حل العقدة التي اخافتني

هذرت امامي بشيءٍ ألا يمكنها ان تبرهن على صحته؟ — انظر لها هو خارج من بيته مستغرقاً في الحديث! — مع من يا ترى؟ — معه؟ مع صديق الراهب؟ لا شك هو الان يعرف كل شيءٍ ولقد اكتشف امره لدى البطريرك. او اه ما الذي فعلته انا العيند حتى ان شرارة واحدة من هذا الانفعال تحول مخاخ الانسان الى شعلة كهذه؟ قرر حالاً ما ينبغي فعله الان انا انتظر هنا الى جانب الطريق لارى اذا كان الراهب يغادره.

المنظر الرابع

(ناثان وراهب الدير)

ناثان: (يقترب منه) اقدم لك جزيل الشكر ثانية ايها الاخ الفاضل!

الراهب: تقبل انت مني ذات الشيء!

ناثان: انا؟ منك؟ لماذا؟ لاجل عنادي حتى ارغملك على قبول ما لا حاجة بك اليه؟ — الا انك انت ايضاً لم تذعن فانك لم تقبل حتى باستعمال القوة ان تكون اغنى مني.

الراهب: على كل حال ان الكتاب ليس خاصتي هو ملك الابنة هو كل تراشها من والدها — نعم انت تخصها. — ليهمك الله حتى لا تندم ابداً على احسانك الكثير اليها.

ناثان: هل استطيع ذلك؟ انا لا استطيع ذلك ابداً لا تم!

مراراً كثيرة من تلقاء نفسها . يا الله ما اسهل مسيري الان في هذا العالم لاتي لست بحاجة بعد لاخفاء شيء ولا نبي استطيع ان اسلك من الان فصاعداً بين الناس بحرية كما اسلك امامك انت الذي وحدك لا تحتاج ان تدين الانسان حسب اعماله التي قلما تكون اعماله . (اي ربما يتظاهر بغير ما ينويه حقيقة)

المنظر الخامس

(ناثان والفارس الهيكلي الذي يقبل عليه من جانب المنزل)

الفارس: انتظري يا ناثان وخذني معك !

ناثان: من يدعوك؟ انت ايها الفارس؟ اين كنت حتى لم تتمكن من المشول امام السلطان؟

الفارس: قد مررتنا عن بعضنا . لا تؤاخذني !

ناثان: انا لا ولكن صلاح الدين ...

الفارس: انت انطلقت في تلك اللحظة ...

ناثان: انت خاطبته؟ اذا كل شيء حسن .

الفارس: لكنه يريد ان يخاطبنا معاً .

ناثان: هذا افضل تعال معي . انا ذاهب اليه . —

الفارس: اسمح لي يا ناثان ان اسألك من الذي غادرك الان؟

ناثان: حقاً الا تعرفه؟

الفارس: الم يكن خادم الدير الامين الذي يحب البطريق ان يستخدمه جاسوساً؟

ناثان: ربما كذلك ! هو على كل حال عند البطريق .

الفارس: يا للخدعة الحكمة باعداد البساطة طريقاً للخبث .

ناثان: اجل بساطة الغياؤة وليس بساطة التقوى .

الفارس: البطريق لا يعتقد ببساطة التقوى .

ناثان: انا سادفع عن الخادم هو لا يساعد بطريقه كي يقترب ما لا يلقي .

الفارس: هو على الاقل يتظاهر بذلك . — الم يقل لك شيئاً عن ؟

ناثان: عنك؟ لا اظن ولا شيء عنك . — هو هيهات ان يعرف اسمك .

الفارس: هيهات .

ناثان: هو قال لي شيئاً عن فارس هيكلي ...

الفارس: ماذا؟

ناثان: هو لا يعنيك البتة بكلامه .

الفارس: من يعلم؟ اسمعوا اياه !

ناثان: هو قال ان شخصاً شكلاني الى بطريقه ...

الفارس: شكلك؟ رغمـاً من مراعاة جانبه فهو كاذب ... يا ناثان

أصنـ اليـ ! — انا لست ذاك الرجل الذي ينكر امراً ، ما فعلته

قد فعلته . ولست ذاك الذي يدعـ ان جميع اعمالـه التي عملـها

حسنة فیدافع عن حسنها . هل استحی بزلة ؟ ألم اصم تصميمأ تاماً على اصلاحها ؟ ولست اعلم الى اي حد ذلك في استطاعة البشر ؟ أصغ الي يا ناثان !انا هو الفارس الهميكل الذي قال عنه خادم الدير بأنه شراك . انت تعلم ما الذي جعلني احتق حتى غلي دمي في عروقي . أنا الاخرق ! كل جوارحي تشاركني بالمجيء لاطرح نفسي بين ذراعيك . وانت تعلم بأبي برودة وفقرور استقبلي . والفتور اردا من البرودة وبأبي احكام اجهدت كي تتحى عني . وكيف ظهرت باستعدادك للإجابة عن اسئلة لا صحة لها . و اذا اردت ان لا اتيح على ان لا امثل هذه الامور انما عيني . — أصغ يا ناثان . داية انسلت الى في حالة التهيج الشديد وباحت لي بسرها الذي ظهر لي انه نتيجة تصرفك الغريب .

ناثان : وكيف هذا ؟

الفارس : أصغ لكي اكمل حديثي ! — قد خيل الي انك لا تريد ان تردد الى شخص مسيحي ما اقتضته مرآة ما من المسيحيين وبكلام مختصر مفيد خطر على بالي ان اذبحك .

ناثان : مختصر مفيد ؟ ومفيد ؟ اين الافادة ؟

الفارس : أصغ الي يا ناثان — على الحال كل انا لم اتصرف حسناً . انت غير محقوق على الاطلاق . اما دائمة الغيبة فلا تعلم بماذا تتغوفه هي حافية عليك و بذلك تزيد ان توقعك في عمل شرير . —

ربما كذلك . — انا متبرج حديث السن مفترط في التصرف معراج بين الفرقتين احياناً اعمل حتى الدرجة القصوى واحياناً لا اعمل الا النادر القليل — انا اسلم بهذا ايضاً . اصفح عني يا ناثان .

ناثان : طبعاً اذا كنت تتصورني هكذا —

الفارس : بعبارة وجيرة انا ذهبت الى البطريرك لكي لم اذكر اسمك وكما مرّ بنا القول كان هذا الكلام غير صادق . انا حدثته بالحادث بجملاً فقط لكي اطلع على رأيه . وتركه هذا كان مكاناً . نعم كان يمكنني اذناني كنت اعرف ان البطريرك سافل . الم يكن يامكاني مناقشك الحساب حالاً ؟ هل كان يحب تضخيم الابنة المسكونة لكي انجو من خطر فقدان ابٍ هكذا ؟ ولكن ماذا حدث ؟ ان بمقابلة البطريرك التي لا تزال ناخراً عظامه جعلتني اعود الى نفسي بعثة . أصغ الي يا ناثان . أصغ . لو فرضنا انه يعرف اسمك فـ العمل ؟ — هو يستطيع ان يأخذ الابنة منك فقط اذا كانت لا تخصن احداً غيرك وهو يستطيع ان يحرجها من منزلك الى الدير فقط . — بناء عليه اعطي ايها . اعطي ايها ودعا يات لكي يقلع عن ان يختطف قرينتي مي . اسرع واعطني ايها سيان عندي ان كانت ابنته او لم تكون . مسيحية كانت ام يهودية او لم تكن . نعم ذلك سوان عندي . انا

١٦٢

لا استفسرك عن هذا لا الان ولا فيما بعد مدى العمر منها
كان امرها .

ناثان: هل تظن اني شديد الاحتياج لاخفاء الحقيقة ؟

الفارس: دع المقادير تجري في اعتها .
ناثان: انا لم انكر عليك ولا على كل من يليق اطلاعه على الامر انها
مسيحية وانها ليست الا ربيتي — ورب سائل يقول الم
اطلعلها على الامر بعد ? — لاجل هذا علي ان اعتذر اليها
فقط .

الفارس: لا تفعل ذلك لديها — ولا تحملها البنة على ان تنظر اليك
نظرة غير نظرتها اليك حتى الان ! وفر عليها كشف الامر .
انت ما تزال وحدك فقط قادرآ على التصرف بما اعطي ايها
يا ناثان ارجو منك اعطي ايها انا وحدي استطيع ان اخلصها
للك للمرة الثانية وانا احب ان ا فعل ذلك .

ناثان: اجل كان ذلك بامكاني ولكن هذا ليس بامكاني الان . لقد
فات الاولان .

الفارس: ما هذا ؟ فات الاولان ؟

ناثان: شكرآ للبطريق ...
الفارس: للبطريق ؟ شكرآ ؟ شكرآ له ؟ لماذا ؟ هل كان يريد ان يحصل
على شكرنا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

ناثان: لانا صرنا نعلم الى من تنسب والى عناية من يمكننا تسليمها .

١٦٣

الفارس: ليشكره لهذا السبب كل من اراد شكره لانه عمل له
اعمالاً اكثراً من هذه .

ناثان: يجب ان تحصل عليها انت الان للاسباب التي عينت نفسها
وليس من اجي .

الفارس: يالشقاء ريحانة . ما اكثراً الكوارث التي دهمتك ايتها
المسكينة ، ان ما بعد سعدآ ليتامي آخرين بعد ذلك نكبة .
يا ناثان ! — اين هؤلا . الانباء ؟

ناثان: اين هم ؟

الفارس: من هم ؟

ناثان: لها اخ يجب ان تقدم إليه خصيصاً عند طلبك ايها .

الفارس: اخ ؟ ماهي مهنة هذا الاخ ؟ هل هو جندي ؟ ام روحاني ؟ —
اسمعني ما يمكنني انتظاره منه .

ناثان: حسب ظني هو لا هذا ولا ذاك وربما جندي وروحاني معاً .
انا لست اعرفه معرفة تامة بعد .

الفارس: وماذا بعد ؟

ناثان: هو رجل نزيه تعيش عنده ريحانة عيشاً هنيئاً
الفارس: لكنه مسيحي ! — في الوقت الحاضر لست اعلم ماذا يجب
ان يكون ظني فيك لا تعتب عليـ يا ناثان . — الا تظهر
مسيحية بين المسيحيين ؟ الا تصبح في آخر الامر على ما كانت
عليه منذ مدة طويلة ؟ الا يختنق الروان القمع النقـ الذي زرعته

انت؟ الا تهتم بهذا كثيراً؟ رغمـاً من ذلك يمكنك ان تقولـ

انت؟ انها كانت عند اخيها بحالة جيدة؟

ناثان: انا اظن ذلكـ . انا ارجو ذلكـ . واذا اعوزها عنده شيءـ الا يمكنها ان تعتمد عليكـ وعلىـ بعدـ

الفارس: ماذا يعوزها عندهـ الا يقدم الاخ العزيزـ للاخت العزيزةـ الطعامـ والكسوةـ واللذائذـ من المأكلـ والملابس الفاخرةـ والحلـ بكميةـ وافرةـ . ايـ شيءـ تحتاجـ اليـ اختـ محبوبةـ اكثـ ما ذكرـ؟ـ يقينـاً تحتاجـ بعلاـ!ـ حسناـ وهذاـ ايضاً يجدهـ الاخـ المحبـ فيـ حينـهـ وهوـ سيكونـ كالمعتادـ افضلـ الموجودـينـ واكثـ تمـسكـاًـ بالـ المسيحـيةـ!ـ نـاثـانـ نـاثـانـ ياـ لهـ منـ مـلاـكـ هـذـبـهـ وـآخـ غيرـكـ يـشـوـهـهـ.

نـاثـانـ: لاـ سـبـ للـتـلـهـفـ . سـتـحـافظـ بدـقةـ عـلـىـ استـحقـاقـهاـ محـبـتناـ .

الفـارـسـ: لاـ تـنـفـوهـ بـهـذاـ!ـ لاـ تـنـفـوهـ هـكـذـاـ عـنـ حـبـيـ!ـ لـاـنـهـ لـيـسـ مـنـ يـقـدرـ عـلـىـ اـخـادـهـاـ وـلـوـ مـقـدـارـ ذـرـةـ وـلـاـ اـسـمـ مـنـ الـاسـمـاءـ.ـ لـكـ

ـصـهـ!ـ هـلـ اـشـبـهـ بـماـ يـنـظـرـهـاـ?

نـاثـانـ: مـخـتـمـلـ مـعـ اـنـيـ لـسـتـ اـدـرـيـ مـنـ اـيـ هـاـ ذـلـكـ .

الفـارـسـ: كـلـاـ الـحـالـيـنـ سـيـانـ عـنـديـ يـجـبـ عـلـيـ انـ اـخـبـرـهاـ قـبـلـ غـيرـيـ عـماـ يـتـهدـدـهاـ مـنـ الـقـدـرـ وـلـقـدـ زـالـ مـنـ فـكـرـيـ اـنـ لـاـ اـعـودـ اـرـاهـاـ وـاـخـاطـبـهاـ ثـانـيـةـ!ـ لـلـ اـنـ تـصـبـ خـاصـيـ!ـ اـنـ اـسـرـعـ .ـ

نـاثـانـ: اـبـقـ هـنـاـ!ـ اـلـ اـيـنـ مـسـيرـ?

الفـارـسـ: اـلـهـاـ لـأـرـىـ اـذـاـ كـانـتـ نـفـسـ هـذـهـ فـتـيـةـ ذاتـ بـرـوـءـةـ كـلـيـةـ تـجـلـمـلـهاـ

ـ تصـمـمـ رـأـيـهاـ عـلـىـ مـاـ هيـ اـهـلـ لـهـ!

ـ نـاثـانـ: مـاـ هوـ؟

ـ الفـارـسـ: هـوـ هـذـاـ اـنـ لـاـ تـبـالـيـ بـعـدـ لـاـ بـكـ وـلـاـ بـاخـيـهاـ .

ـ نـاثـانـ: وـ؟

ـ الفـارـسـ: وـتـبـعـيـ حـتـىـ وـلـوـ اـصـبـحـتـ اـمـرـأـ رـجـلـ مـسـلمـ .

ـ نـاثـانـ: اـبـقـ هـنـاـ!ـ اـنـتـ لـاـ تـجـدـهـاـ .ـ هـيـ عـنـدـ سـتـهـ شـقـيقـةـ السـلـطـانـ .

ـ الفـارـسـ: مـنـذـ مـتـىـ؟ـ لـمـاـذـاـ?

ـ نـاثـانـ: وـاـذـاـ كـنـتـ تـنـطـلـقـ بـذـاتـ الـوقـتـ اـنـ تـرـىـ الـاخـ عـنـدـهـ قـتـالـ مـعـيـ!

ـ الفـارـسـ: الـاخـ؟ـ اـخـ مـنـ؟ـ اـخـ سـتـهـ اـمـ رـيـحانـةـ؟

ـ نـاثـانـ: رـبـاـ الـاثـنـيـنـ .ـ فـقـطـ تـعـالـ مـعـيـ .ـ اـرـجـوـ مـنـكـ تـعـالـ .ـ (ـهـوـ يـنـطـلـقـ مـعـهـ)

المنظر السادس

(المشهدـ: دـاـخـلـ حـرـمـ سـتـهـ)

(ستـهـ وـرـيـحانـةـ تـسـدـدانـ)

ـ سـتـهـ: يـاـ لـسـرـوريـ بـكـ اـيـتهاـ الـابـنـةـ الـحـيـيـةـ!ـ لـاـ تـكـونـ هـكـذـاـ مـنـقـبـضـةـ

ـ خـائـفـةـ وـجـلـةـ كـوـنـيـ مـرـحـةـ وـاطـلـقـ لـسـانـاـ وـاـكـثـرـ اـنـسـاـ .

ـ رـيـحانـةـ: اـيـتهاـ الـامـيرـةـ . . .

ـ سـتـهـ: لـاـ لـاـ لـسـتـ اـمـيرـةـ .ـ اـدـعـيـنـيـ سـتـهـ صـدـيقـتـكـ .ـ اـخـتكـ .ـ اـدـعـيـنـيـ

سته: لماذا؟ — أنا لا أتباهي بالمعرفة. — لكن لماذا؟ اذكري السبب الذي لديك. تكلمي بمحسارة. اذكري السبب الذي لديك! ريحانة: انت مخلصة ونزية وغير متصنة وانت عديمة الميشل.

سته: والآن؟

ريحانة: اي يقول قلما تترك لنا الكتب هذه الصفات.

سته: حقاً ان اباك دهش!

ريحانة: اليـس كذلك؟

سته: ما اقرب افكارـه دائـماً من المرمى!

ريحانة: اليـس كذلك؟ — وهذا الوالد^(١) ناثـان.

سته: يا عزيزـتي مـا لـكـ؟

ريحانة: هذا الوالـد —

سته: يا الـهي اـنت تـذرفـين العـبرـات؟

ريحانة: وهذا الوالـد — او اـيه يـحب ان اـجـهـرـ بالـكـلامـ. ان قـلـيـ يـطـلـبـ منـفذـاـ. اـجـلـ يـطـلـبـ منـفذـاـ (ريـحانـةـ تـطـرحـ نـفـسـهاـ مـتـهـدـهـ اـمامـ قـدـمـيـ سـتهـ)

سته: يا بـنـيـةـ. يا رـيحـانـةـ ماـذـاـ يـؤـلـمـكـ؟

ريـحانـةـ: حـمـمـ عـلـيـ قـدـنـ هـذـاـ الوـالـدـ!

سته: اـنتـ؟ تـقـدـيـنـ؟ اـيـاهـ؟ كـيفـ هـذـاـ؟ سـكـنـيـ روـعـكـ! اـبـداـ! اـنـهـضـيـ!

ريـحانـةـ: اـنـ عـرـضـكـ نـفـسـكـ عـلـيـ لـتـكـونـيـ صـدـيقـيـ وـشـقـيقـيـ لـاـ يـحـبـ

اـنـ يـكـونـ باـطـلاـ!

(١) تعـنيـ هـنـاـ اـنـهاـ سـفـقـدـ وـالـدـمـاـ نـاثـانـ.

والـدـلـكـ العـزـيزـةـ وـاـنـاـ اـسـطـعـ انـ اـكـوـنـ ذـلـكـ تـقـرـيـاـ. — اـنـتـ ماـزـلـتـ حـدـيـثـةـ السـنـ وـمـعـ هـذـاـ فـانـتـ حـصـيـفـةـ وـرـعـةـ وـمـعـارـفـكـ عـظـيـمـةـ جـدـاـ وـقـدـ طـالـعـتـ كـثـيرـاـ.

ريـحانـةـ: اـنـاـ طـالـعـتـ؟ سـتـهـ اـنـتـ تـسـهـزـيـنـ باـخـتـكـ الحـدـيـثـةـ السـنـ السـاذـجـةـ اـذـ قـلـاـ اـسـطـعـ القرـاءـةـ.

ستـهـ: اـيـتهاـ الـخـدـاعـةـ قـلـاـ اـسـطـعـيـنـ القرـاءـةـ?

ريـحانـةـ: اـسـطـعـيـنـ قـرـاءـةـ خـطـ اـيـ قـلـيلـاـ. اـنـاـ ظـنـنـتـكـ تـكـلـمـيـنـ عـنـ الكـتـبـ عـمـومـاـ.

ستـهـ: عـلـىـ كـلـ حالـ عـنـ الكـتـبـ.

ريـحانـةـ: حقـاـ اـيـ اـسـتـقـلـ قـرـاءـةـ الكـتـبـ.

ستـهـ: اـتـكـلـمـيـنـ كـلـامـ جـدـ?

ريـحانـةـ: بـتـامـ الجـدـ. اـيـ لـاـ يـحـبـ فـلـسـفـةـ الكـتـبـ الـبـلـيـدـةـ الـيـ تـنـطـعـ عـلـىـ الدـمـاغـ بـعـلـامـاتـ جـاـفـةـ الـاحـجاـ زـهـيدـاـ.

ستـهـ: مـاـذـاـ تـقـولـيـنـ؟ لـمـ يـخـطـيـهـ كـثـيرـاـ؟ — فـكـيفـ تـسـنـيـ لـكـ مـعـرـفـةـ اـشـيـاءـ كـثـيرـةـ هـكـذاـ? ...

ريـحانـةـ: اـنـاـ سـمـعـتـ ذـلـكـ مـنـ فـهـ الـخـاصـ وـاسـطـعـ انـ اـقـولـ لـكـ كـيفـ وـاـينـ وـلـمـاـذـاـ عـلـيـ اـيـاهـ.

ستـهـ: الـاـشـيـاءـ الـيـ تـلـمـعـ عـلـىـ هـذـاـ المـنـوـالـ تـحـفـظـ اـفـضـلـ مـنـ غـيرـهـاـ وـبـهـذـهـ الـمـنـاسـبـةـ تـلـمـعـ النـفـسـ بـاجـمـعـهاـ.

ريـحانـةـ: يـقـيـنـاـ سـتـهـ اـيـضـاـ لمـ تـقـرـأـ الاـ قـلـيلـاـ اوـ لمـ تـقـرـأـ مـطـلـقاـ.

١٦٨

سته : انا كلامها انا هي — انهضي لكي لا تحمليني على طلب الاستغاثة .
 ريحانة : (تشجعت ونهضت) اوَاه ارجو عفوك . ارجو صفحك . كرني
 جعلني انساك ان الآتين وقطع الامل لا يجديان نفعاً امام سته .
 ان التعقل الرزين يستطيع حملها على كل شيء . ان الدعوى التي
 تنظر اليها بتعقل هي الرابحة لديها .

سته : وماذا الان ؟

ريحانة : لا يا صديقي . لا يا اختي لا تسلي بذلك . لا تسلي ابداً
 بارغامي على قبول اب غير ناثان .

سته : اب آخر ؟ ترغبين على قبوله ؟ انت ؟ من يستطيع هذا ؟ ايتها
 العزيزة من يحسر على قبول هذا ؟

ريحانة : من ؟ دايي الصالحة والطالحة تمنى هذا ! وتمنى تحقيقه . اجل
 انت لا تعرفين نفسية دايي هذه الصالحة الطالحة ؟ سامحها الله
 وجازاها ايضاً . لقد احسنت الي كثيراً ولقد اسامت الي كثيراً .

سته : اسامت اليك ؟ — حقاً فيها اذًا ميل ضئيل للاحسان .

ريحانة : بلى فيها ميل جزيل . هي جزيلة الاحسان .

سته : من هي ؟

ريحانة : مسيحية وكلت كفالتي اليها في حداثي ولا يمكنك ان تصوري
 اعتناءها بي حتى جعلتني لا افقد والدي الا فيما ندر . جازاها
 الله على ذلك — لكنها كانت ترعبني وتعذبني ايضاً .

سته : ولاي سبب ؟ لماذا ؟ كيف ؟

١٦٩

ريحانة : اوَاه اقول لك ان المرأة المسكينة مسيحية ولمجرد محبتها لي
 تعذبني وهي من المتحمسات اللواتي يظنن انهن يعرفن الطريق
 الحقيق الوحيد الى الله .

سته : الان ادركت الحقيقة .

ريحانة : ويرين انفسهن مسوقات لكي يرشدن كل من ضل
 الطريق وقلا يستطعن خلاف ذلك . واذا كانت هذه الطريق
 وحدها فقط ترشد الناس فكيف يسلبنَّ بان يسير اصحابهنَّ على
 طريق غيرها يهوي بهم الى الهالك الابدي ؟ ويجب ان يكون في
 امكان الانسان ان يحب وبغض انساناً واحداً في وقت واحد .
 وليس هذا ما يحملني اخيراً على الشكوى الصارخة منه . وعن
 طيب خاطر كنت تحملت تنهدهنَّ وانذارهنَّ وصلاتهنَّ
 ووعيدهنَّ . نعم كنت تحملتها مدة اطول وعن طيب نفس لانها
 دوماً كانت توجه افكاري الى ما هو حسن ومفيد ومن ذا
 الذي لا يتملقحقيقة عندما يشعر انه اهل لان يعد عزيزاً
 وجديراً لان يكرم من اي شخص كان ومن ذا الذي لا يزهو
 عندما يعلم ان الناس يتأنلون من مجرد الافتخار بفقده ابدياً .

سته : انه عين الصواب .

ريحانة : لكنها قد تجاوزت كل حد وانا لا استطيع مقاومة ذلك
 بشيء ما . لا بالصبر ولا بالتبصر ولا باسم آخر .

سته : اي امر ؟ ومن ؟

ريحانة: ما تدعى أنها اكتشفت الان .

سته : اكتشفت الان ؟

ريحانة: فقط الان ! اثناء مسirنا الى هنا اقتربنا من هيكل مسيحي مهدم وحالاً وقفت لا حراك بها وشوهدت كأنها تجاهد نفسها . وكانت تنظر تارة الى السماء واخرى الى عينيها مغورقتان بالدموع . اخيراً قالت في نفسها تعالى ودعينا نهر من هنـا الى جهة هذا المعبد . هي سارت وانا بعثها وعيناي تردونـا برعشة الى الاطلال المتقللة . ثم عادت ووقفت فرأيت نفسي امام درجات مذبح رميم هابطة . يا حالي عندما سقطت امام قدمي ذارقة الدمع السخين قابضة يدها بالاخري .

سته : ايها الابنة العزيزة !

ريحانة: اقسم بالعذراء التي حقاً تستجيب كثيراً من الصلوات والتي صنعت كثيراً من العجائب انها ناشدتني بنظرة حنان صادقة واستحلقتني كي ارحم نفسي وعلى الاقل ان لا احقد عليها اذا كشفت لي ما تتطلبه مني كنيستها .

سته : ويحك ايها الشقية ! — هذا ما كنت اتوقعه .

ريحانة: وقيل لي انـي من نسب مسيحي وقد تعمدت ولست ابنة ناثان وهو ليس والدي . يا الله الهـي هو ليس والـدي ! — انظـريـني يا سـته مطـروحة ثانية امام قـدمـيك ...

سته : يا ريحـانـة لا تفعـلي هـذا . انهـضـي حالـاً . اخيـقـيلـ . انهـضـي !

المنظر السابع

(صلاح الدين ومن تقدم ذكرهم)

صلاح الدين: ما الخبر يا سـته ؟

سته : يا الهـي هي مختـلةـ الشـعـورـ .

صلاح الدين: منـ هيـ ؟

سته : حقـاًـ اـنتـ تـلـمـ ...

صلاح الدين: ابـنةـ نـاثـانـاـ ؟ـ ماـذـاـ جـرـىـ طـاـ؟

سته : تـسلـطـيـ عـلـىـ عـواـطفـكـ !ـ هـاـ هوـ السـلـطـانـ ...

ريحانة: (ترـحـفـ علىـ رـكـبـيـاـ اـمـامـ قـدـمـيـ صـلاحـ دـيـنـ مـطـأـطـأـةـ رـأسـهاـ)ـ اـنـاـ لـاـ انـهـضـ .

لاـ انـهـضـ قـبـلـ انـ —ـ وـلـاـ اـرـيدـ اـشـاهـدـ وـجـهـ السـلـطـانـ —

وـلـاـ اـسـتـعـظـ اـبـهـةـ الـعـدـلـ وـالـكـرـمـ الـمـبـعـثـيـنـ مـنـ عـيـنـهـ وـالـبـادـيـنـ

عـلـىـ جـبـتـهـ ...

صلاح الدين: انهـضـيـ !ـ انهـضـيـ !

ريحانة: لاـ قـبـلـ انـ يـعـدـيـ !ـ ...

صلاح الدين: تعـالـيـ اـنـ اـعـدـكـ ...ـ مـهـاـ كـانـ الـاـمـرـ .

ريحانة: لاـ اـكـثـرـ وـلـاـ اـقـلـ مـنـ اـبـقـاءـ وـالـدـيـ لـيـ وـتـرـكـيـ لـهـ !ـ لـسـتـ

اعـلمـ بـعـدـ مـنـ سـيـدـعـيـ اـنـهـ وـالـدـيـ وـيـحـقـ لـهـ ذـلـكـ .ـ اـنـاـ لـسـتـ اـرـيدـ

مـعـرـفـةـ ذـلـكـ اـيـضـاـ .ـ هـلـ الـوـلـادـةـ فـقـطـ تـهـبـنـاـ الـوـالـدـ ؟ـ الـوـلـادـةـ

فـقـطـ ?

القيحات جميلات . افلا تصبح الجميلات اكثراً جمالاً ؟ انا قد ارسلت استدعي والدك ناثان وواحداً آخر الى هنا . هل تخزرين من هو ؟ — الى هنا ! هل تأذنين لي بذلك يا سته ؟

سته : اخي !

صلاح الدين : توردي كثيراً امامه ايها الابنة العزيزة .

ريحانة : امام من ؟ اتورد ؟ ...

صلاح الدين : ايها المرائية الحديثة السن ليتقطع لونك اذاً ! — حسبياً تريدين وتستطيعين ! (هنا تدخل جارية وتقرب من سته وتحاطبها)

أم يصلوا بعد ؟

سته : حسن ليدخلوا — هم يا اخي !

المنظار الآخر

ناثان والفارس الميكلاني والسابقون

صلاح الدين : ايها الاصدقاء الافضل الاعزاء ! يا ناثان انا اخاطبك قبل الجميع . انت تستطيع اخذ مالك متى اردت ذلك ! ...

ناثان : ايها السلطان !

صلاح الدين : وصلت القافلة . والمال لدى بكتير لم ارها منذ مدة طويلة . تعال واذكر حاجتك عند تعاطيك مشروع عظيماً ! ايها التجار اتم ايضاً منها كثر المال النقدي لديكم لا تحجمون عنه .

صلاح الدين : (ينهضها عن الارض) الامر واضح لدلي ! من هو هذا العديم الشفقة الى هذه الدرجة حتى اجج هذه الافكار في صدرك ؟ قد انتهى الامر تماماً ؟ هل تتحقق ؟

ريحانة : يجب ان يكون كذلك ! لان داية تقول انها سمعته من حاضنتي .

صلاح الدين : من حاضنك ؟

ريحانة : التي وهي على فراش الموت رأت نفسها مرغمة على اثنانها عليه .

صلاح الدين : حتى وهي على فراش الموت . لم تكن ايضاً في حالة البحaran ؟ حتى ولو كان الامر صحيحاً ! — ان النسب وحده لا يكون الابوة حتى ولا ابواة الحيوان الاعجم وجل ما يسيبه النسب اعطاء حق اولوية الحصول على هذا الاسم . لا تكوني وجلة ! — اقلني نصحيتي ! عندما يتخاصم والدان لاجلك اتركهما وشأنهما وخذني ثالثهما واجعلني والدك .

سته : افعل ذلك ! اجل افعليه .

صلاح الدين : انا اريد ان اكون والدآ محبآ بكل معنى الكلمة ! صبراً لقد خطر على بالي شيء افضل جداً ! — مالك وللاباه عموماً ؟ هم زائلون . فالافضل ان تفتني عن واحد يتسبق معي في مضمار الحياة . الا تعرفين احداً بعد ؟

سته : لا تجعلها تحرر خجلاً !

صلاح الدين : على كل حال هنا ما صمت عليه . الاحمرار يصير

ناثان : لماذا بدأ أولاً بهذا الامر التافه ؟ — أنا اشاهد هنالك عيناً دامعة . يهمني جداً تنشيفها (يقدم نحو ريحانة) . كنتِ تبكين ؟
ماذا جرى لكِ ؟ — انت ما زلت ابنتي ؟

ريحانة : يا ابنت ! ...

ناثان : كفى ! من القلب الى القلب دليل ! كوني جذلة ورزينة ! تشجعي اعسى ان قلبك لا تندره خسارة ! — ان والدك لا يفقد منك !

ريحانة : أنا لا اخشى خسارة اخرى !

الفارس : لا خسارة اخرى ! — اذا خدعت نفسى ! ان ما لا يخشى الانسان خسارته لم يفكر قط بامتلاكه ولم يرغب في ذلك . — هذا هو عين الصواب ! هذا يغير كل شيء يا ناثان ! — يا صلاح الدين نحن اتينا بناء على طلبك . انا الذي اغواك . الان لا تجهد نفسك اكثر !

صلاح الدين : يا لتسرك ايه الشاب ! هل يجب ان يلاطفك الجميع وان يقرأوا افكارك ؟

الفارس : ايه السلطان انت تسمع وترى !
صلاح الدين : حقاً ! يا للخسارة لعدم معرفتك موقفك تمام المعرفة !
الفارس : هكذا انا .

صلاح الدين : كل من يزدرى عمل خير منها كان يسترد عمله الخيري . وما خلصته هذا ليس خاصتك والا عذر اللص الذي يدفعه بخلقه الى النار بطلاً مثلك بلا منازع ! (ثم يسير نحو ريحانة لكي يقدمها الى الفارس .)

(الميكلي) تعالى يا ابتي العزيزة لا تكوني متعنته كثيراً معه لانه لو لم يكن حميد الحصول مثلاً لو كان اقل حمية وعزّة نفس لما اقدم على نجاتك . ضعي له الحسنة مكان السيئة . — تعالى وخجليه واعمليه له ما يليق به واعترفي له بمحبك وقدمي له يدك وكاشفيه بيديك ! ولو ازدرى بك ونبيك عظم صنيعك في هذه الخطوة التي خحيت فيها لاجله بنسبة غير متعادلة اكثر مما خحي هو لاجلك ... ما الذي صنعه لاجلك ؟ ان اشاطته نفسه قليلاً لا يأس بها . — اذا لا شيء فيه مائل لاخي اسعد وهكذا يكون ظاهره ماثلاً له وليس قلبه تعالى يا عزيزتي ... ستبه : انطلي . اذهبي يا عزيزتي ! اذهبي ان هذا قليل جداً لا يفائقك حقلك من الشكر وهو لا شيء .

ناثان : قف يا صلاح الدين ! قفي يا ستبه !
صلاح الدين : انت ايضاً ؟

ناثان : شخص آخر هنا له حق الكلام ...
صلاح الدين : من يذكر هذا ؟ ان ابا باراً كهذا له بلا جدال كلبة نافذة واذا كنت ت يريد فله الكلمة الاولى . — انت ترى اني مطلע على القضية كلها .

ناثان : ليس كهذا تماماً . انا لا اتكلم من نفسى . انسان آخر بعيد بالكلية وانا ارجو من صلاح الدين ان يصغي اولاً الى اقوال هذا الانسان .

صلاح الدين : من هو ؟

ناثان اخوها .

صلاح الدين : اخو ريحانة ؟

ناثان نعم .

ريحانة : اخي ؟ اذا لي اخ ؟

الفارس : (يصرخ وهو مشت الافكار ولا يسمع صوتاً) اين ؟ اين هو هذا

الاخ ؟ اليه هو هنا ؟ كان يجب ان اجتمع اليه هنا !

ناثان : صبراً !

الفارس : (متذكر للنابة) هو وجد لها ابا الا يجد لها اخا ؟

صلاح الدين : لم ينقضنا الا هذا بعد يا مسيحي ! ان اتهاماً سافلاً

كهذا لا يمكن ان يخرج من فم اسعد ، لا بأس سر بنا هكذا !

ناثان : اصفح عنه ! — انا اصفح عنه عن طيب نفس . — من يعلم

ماذا كنا نفتكر لو كنا في محله وفي عمره ! (ثم يسير نحوه سير صديق)

طبعاً ايهما الفارس ! — ان الظن يولد الريبة ! — ليتك شرفني

حالاً بمعقرة اسمك الحقيق .

الفارس : كيف ؟

ناثان : انت لست من آل شترون !

الفارس : من انا اذا ؟

ناثان : اسمك ليس كورد فن شترون !

الفارس : ما اسمي اذا ؟

ناثان : اسمك لي فن فلنك

الفارس : كيف ؟

ناثان : انت ذعرت ؟

الفارس : بحقِّي ! من يقول هذا ؟

ناثان : انا الذي بامكانه ان يخبرك اكثر بعد . لا تظن اتي اكذب عليك .

الفارس : لا ؟

ناثان : من المحتمل ان ذلك الاسم ينطق عليك ايضاً .

الفارس : هذا فكري ايضاً . — الله جعله يفوه به .

ناثان : لان والدتك من آل شترون واخاهما خالك هو الذي ربك عندما تركك والدك في المانيا لما رجعا الى هذه البلاد نظراً

لتساوی المناخ هنالك ربما تبناك ايضاً وكان اسمه كورد فن شترون . هل اتيت معه الى هنا منذ مدة طويلة ؟ اما تزال في قيد الحياة ؟

الفارس : ماذا اقول ؟ يا ناثان ! — على كل حال ! الامر كذلك ! هو بنفسه قد توفي . وانا فقط اتيت مع نجدة طغمتنا الاخيرة .

ولكن ما هي علاقة شقيق ريحانة في هذه الامور كلها ؟

ناثان : والدك ...

الفارس : مَاذا ؟ هل عرفته ايضاً ؟ هذا ايضاً ؟

ناثان : كان صديقي .

تكون قد شاهدت فيها اسعد في حالة كهذه الحالة (ثم يتقدم من ناثان) انت تأخذ ناثان مني وتعطيني اياه بكل معنى الكلمة . لا لا انت تهبني اكثراً مما تأخذ مني . انت تهبني اكثراً كثيراً (ثم يعاقر ريحانة) يا شقيقتي ! يا شقيقتي !

ناثان : بلاندہ فلنک .

الفارس : بلاندہ ؟ بلاندہ ؟ ليس ريحانة ؟ ليس ريحانتك فيما بعد ؟ — يا الله انت تبذرها ردو اها اسمها المسيحي ثانية ! بذرتها بسيبي ! — يا ناثان يا ناثان لماذا تجعلها تُكفر ؟

ناثان : ماذا تعني ؟ — يا ولدي يا ولدي ! الا يُعدُّ شقيق ابتي ابني ايضاً حالاً عند ما يريد هو ذلك ؟ (صلاح الدين يتركها متعانقين ويخطو نحو اخته سته متهدجاً ومستغرباً الامر)

صلاح الدين : ما قولك يا شقيقتي ؟

سته : أنا متأشرة . . .

صلاح الدين : اما انا فاكاد اتقبض من انفعال اعظم . استعددي الان لذلك بقدر استطاعتك .

سته : وما هذا ؟

صلاح الدين : يا ناثان لي اليك كلمة ! كلمة فقط ! — (بينما ناثان يترب منه تقترب سته من الاخ والاخت مشاركة ايامها بالشعور . اما ناثان وصلاح الدين فيتحداون بصوت خافت) أصغ يا ناثان اصغ . لم تقل سابقاً ؟

ناثان : ماذا قلت ؟

الفارس : كان صديقك ؟ هل هذا ممكن يا ناثان ؟ . . .

ناثان : وكان يدعى وُلْفُ فلنک لكنه لم يكن المانيا . . .

الفارس : انت تعلم هذا ايضاً ؟

ناثان : كان فقط متزوجاً المانيا ورافق والدتك الى المانيا مدة قصيرة . . .

الفارس : كفى ! ارجو منك ! قل لي من هو شقيق ريحانة ؟

ناثان : انت هو !

الفارس : انا ؟ انا اخوها ؟

ريحانة : هو اخي ؟

سته : هو اخوها وهي اخته !

صلاح الدين : هو كذلك !

ريحانة : (ترى ان تماشه) اخي او ااه اخي !

الفارس : (يرجع الى الوراء) انا اخوها !

ريحانة : (تستمر مخاطبة ناثان) من الحال ! من الحال ! ان قلبه لا يدرى

شيئاً من هذا ! — يا الله ! نحن خادعون !

صلاح الدين : (يخاطب الفارس الميكلي) خادعون ؟ كيف ؟ انت تفكك

كذلك ؟ اتستطيع ان تفكك ؟ خادعون بالذات ! لأن كل شيء

فيك مقلد . وجهك وصوتك وسيرك لا شيء ملكك ! اذهب

عني لانك لا تعرف باخت كهذه !

الفارس : (يقترب منه بتواضع) ايها السلطان لا تيء انت ايضاً فهم

اندهاشي ولا تخطيء الظن في اسعدك ولا في لحظة انت لا

١٨٠

صلاح الدين : ان اباهم لم يكن من المانيا ولم يكن الماني المولد . ماذا كان اذا ؟ ومن اين كان ؟

ناثان : لم يقبل ان يُسرَّ الى بهذا قط ولم اسمع شيئاً عن هذا من فهـ ؟

صلاح الدين : الم يكن افرنجياً من بلاد الغرب ؟

ناثان : هو اقر انه لم يكن ما ذكر . لكنه كان يفضل التكلم بالفارسية على كل لغة أخرى غيرها ...

صلاح الدين : بالفارسية ؟ بالفارسية ؟ ماذا اروم اكثـر ؟ هو هو ..
كان هو !

ناثان : من ؟

صلاح الدين : اخي بلا شك ! اخي اسعد بلا شك !

ناثان : بما انك حزرت ذلك من تلقاء نفسك هاـك توـكـيدـهـ هناـ فيـ هـذـاـ الكـتابـ (يـقـدـمـ اليـهـ السـوـاعـدـ)

صلاح الدين : (يفتحها بلهفة) آهـ هـذـاـ خطـ يـدـهـ . اـنـاـ عـرـفـ ذـلـكـ حالـاـ.

نـاثـانـ : هـمـاـ مـاـ زـالـاـ غـارـفـينـ شـيـئـاـ عـنـ الـامـرـ وـعـلـيـكـ وـحـدـكـ يـتـوقـفـ ماـ يـجـبـ انـ يـعـلـمـاهـ .

صلاح الدين : (في اثناء ذلك يقلب الكتاب) اـنـاـ لـاـ اـعـرـفـ وـلـدـيـ اـخـيـ ؟ اـنـاـ لـاـ اـعـرـفـ وـلـدـيـ ؟ لـاـ اـعـرـفـهـماـ ؟ اـنـاـ ؟ هـلـ اـتـرـكـهـماـ لـكـ ؟

(بصوت عالـيـ) هـمـاـ . هـمـاـ يـاـ سـتـهـ هـمـاـ . هـمـاـ هـمـاـ كـلـهـمـاـ وـلـدـاـ اـخـيـ وـاخـيـكـ . (هوـ يـرـكـضـ وـيـعـانـقـهـماـ)

١٨١

ستهـ : (تبـعـهـ) ماـذـاـ اـسـعـ ؟ هـلـ مـنـ المـمـكـنـ انـ يـكـونـ هـذـاـ خـالـفـ الـوـاقـعـ ؟ـ
صلاحـ الدينـ : (يـخـاطـبـ الفـارـسـ الـمـيـكـلـيـ) اـيـهـ الصـدـيقـ الصـعـبـ المـرـاسـ اـنتـ
الـاـنـ مـرـغـمـ عـلـىـ مـجـبـيـ (وـالـاـنـ يـخـاطـبـ رـجـانـةـ) حـقـاـ اـنـاـ الـاـنـ مـاـ قـدـ
تـمـنـيـتـ اـنـ اـكـوـنـهـ اـرـدـتـ اـمـ لـمـ تـرـيـدـيـ .
ستهـ : اـنـاـ اـيـضـاـ . اـنـاـ اـيـضـاـ .

صلاحـ الدينـ : (يرـجـعـ إـلـىـ الفـارـسـ) يـاـ وـلـدـيـ ! يـاـ اـسـعـدـيـ ! يـاـ اـبـنـ اـخـيـ اـسـعـدـاـ
الفـارـسـ : اـنـاـ مـعـكـ ! بـالـحـقـيـقـةـ الـقـدـكـانتـ تـلـكـ الـاحـلـامـ الـتـيـ هـزـ بـهـ سـرـيرـ
حـدـاثـيـ اـكـثـرـ مـنـ اـحـلـامـ (هـنـاـ يـقـعـ اـمـامـ قـدـمـيـ صـلـاحـ الدـيـنـ)
صلاحـ الدينـ : (يـبـضـهـ) اـنـظـرـواـ هـذـاـ الـغـدـارـ . كـانـ يـعـلـمـ الـحـقـيـقـةـ بـعـضـ
الـعـلـمـ وـكـانـ مـكـنـاـ اـنـ يـجـعـلـيـ قـاتـلـهـ ! سـأـقـصـ مـنـكـ !
(اثـنـاءـ تـعـاقـ جـمـيعـ الـمـشـخـصـينـ تـعـاقـ صـاـمـتاـ يـسـدـلـ السـتـارـ)

الفهرس

صفحة

١ مقدمة المترجم	٣
٢ نشأة الرواية	٤
٣ مستند الرواية التاريخي	٦
٤ موقع الرواية	٧
٥ الحكاية الموضوعة التي تقدم الرواية	٧
٦ اشخاص الرواية	٩
٧ بحث الرواية	١٢
٨ لسغ	١٢
٩ ملخص الرواية	٢٠—١٤
الفصل الاول	٥٤—٢١
المنظار الاول	٢١
» الثاني	٢٨
» الثالث	٣٦
» الرابع	٤١
» الخامس	٤٣
» السادس	٥١
الفصل الثاني	٨٥—٥٥
المنظار الاول	٥٥

صفحة

المنظار الثاني	٦٠
» الثالث	٦٨
» الرابع	٧٠
» الخامس	٧٢
» السادس	٧٧
» السابع	٧٨
» الثامن	٨١
» التاسع	٨١
الفصل الثالث	١١٩—٨٦
المنظار الاول	٨٦
» الثاني	٨٩
» الثالث	٩٢
» الرابع	٩٤
» الخامس	٩٦
» السادس	٩٩
» السابع	١٠٠
» الثامن	١٠٨
» التاسع	١١٠
» العاشر	١١٣

صفحة

الفصل الرابع	١٥٠—١١٩
المنظر الاول	١١٩
» الثاني	١٢٢
» الثالث	١٢٧
» الرابع	١٣٠
» الخامس	١٣٧
» السادس	١٣٨
» السابع	١٤١
» الثامن	١٤٩
الفصل الخامس	١٨١—١٥٠
المنظر الاول	١٥٠
» الثاني	١٥٣
» الثالث	١٥٤
» الرابع	١٥٦
» الخامس	١٥٨
» السادس	١٦٥
» السابع	١٧١
» الاخير	١٧٣

كلمة العرب

يشكر المغرب أصدقاؤه، الذين قدموا له ملاحظاتهم على هذه الترجمة وينصّ منهم بالذكر الاستاذ شديد باز الحداد الذي ابدى كثيراً من المساعدة بتبييضه كافة الرواية قبل تقديمها للطبع